

روايات مصرية الجيب

النداء

وقصص أخرى

كوكتيل
يوم

ثقافة الغد .. لشباب اليوم

32

د. تبديل نزاروق

Looloo

www.dvd4arab.com

علاء خاص

المؤسسة العربية الحديثة
الطبرق والشرقية
TAMAY - SUPRAE - 2010000
ت
www.dvd4arab.com



(قصة قصيرة)

دموع الإنترنت

خفق قلب (هبة) في قوة ، وراح يرتجف في صدرها كطير
مبتل ، سقط وسط جبل من الجليد ، على الرغم من كل
ما تشعر به من دفء وحرارة في أعماقها ، وهي تمد
أصابعها الرقيقة ، لتضغط أزرار الكمبيوتر ، وتوصله بأسلاك
الهاتف ، تمهيدا لاتصالها بشبكة الإنترنت ..

وبكل جوارحها ومشاعرها ، تعلقت عيناها بالشاشة
الكبيرة ، في انتظار ظهور رسالته ..
رسالة (نادر) ..

• مع بدء العد التنازلي ، نحو القرن الحادي
والعشرين ..

• مع التطور السريع للعلوم والفنون والآداب ..

• مع ضرورة أن تصبح المعرفة حتمية كالماء والهواء ..

• مع كل هذا جاءت كوكتيل ٢٠٠٠ ، بمثابة باب
إلى المعرفة ..

• إلى الحضارة ..

• إنها ثقافة الغد .. لشباب اليوم

د. نبيل فاروق

ومرة أخرى ، ارتجف قلبها ، وراح يرقص بين ضلوعها ،
مع ذلك الرنين القصير ، الذي سبق ظهور الرسالة ، والتمعت
عينها بحب وحنان جارفين ، وهي تلتهم سطورها القليلة ،
في لهفة ما بعدها لهفة ..

إنه هو ..

أخيراً عاد إليها ..

عاد بعد أسبوعين كاملين ، لم تصلها خلالها رسالته
واحدة منه ..

ولا أحد ، في الدنيا كلها ، يمكن أن يتصور مدى اشتياقها
إليه ، ولهفتها عليه ، طوال تلك الفترة ..

هي نفسها لم تكن تتصور أنها تحمل له كل هذه المشاعر ..
بل ولم تتصور أبداً أن تشعر نحوه بأى شيء على
الإطلاق ..

فالعجيب أنها لا تعلم عنه إلا أقل القليل ..

فقط ما أخبرها هو به ..

وبينما اتسبب بصرها في نعومة ، على أسطر رسالته
المحدودة ، راح عقلها يسبح مع ذكريات قريبة ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

٧

ذكريات عمرها ستة أشهر فحسب ..

ذكريات أول صدمة عاطفية في حياتها ..

فظوال أعوام دراستها ، وحتى تخرّجت من كليتها النظرية ،
لم ترتبط (هبة) أبداً بعلاقة حب ، أو حتى إعجاب ..

كل زميلاتها كن يرتبطن بشباب في مثل عمرهن ، ويربطن
حياتهن وقلوبهن بهم ، ويتحدثن طوال الوقت عن مشاعرهن ،
وارتباطاتهن ، وأحلامهن الوردية في الحياة والمستقبل ..

أما هي ، فلم تكن تتحدث أبداً ..

بل ولم تشعر قط بما كن يصفنه عن أعماقهن ..

صحيح أن قلبها الصغير كان يهفو للحب والسعادة والارتباط ،
ككل أنثى في عمرها ، إلا أنه لم يخفق قط لأحد زملاء
الدراسة ، أو النادي ، أو حتى لابن الجيران ، كما يحدث في
المعتاد ..

وكان هذا يدهش زميلاتها كثيراً ..

ويدهشها هي أكثر ..

وفي معظم لياليها ، كان قلبها يتساءل : لماذا لا تحب !؟

لماذا لم تشعر يوماً بأية عاطفة حقيقية صادقة تجاه أى شاب!؟

إنها فتاة جميلة ، رقيقة ، مثقفة تنتمي إلى أسرة كريمة محترمة ، لها سمعتها الطيبة فى الحى كله ..

وهى أيضاً نشيطة ، اجتماعية ، تمارس حياتها الجامعية فى بساطة وثقة ..

ثم إن العديدين من الشبان قد حاولوا التقرب إليها والارتباط بها ..

ولقد حاولت أن ترتبط بهم أيضاً ..

ولكنها لم تنجح أبداً ..

شئ ما فى أعماقها كان يهوى فى محيط من الملل ، بعد دقائق معدودة من حديثهم معها ..

شئ ما فى عقلها ، كان يرفض الخوض فى أحاديث تافهة أو فارغة ، أو قضاء الوقت فى مراجعة ما فعله الآخرون ، وانتقاد كل تصرفاتهم ومشاعرهم ..

وشئ أكبر ، فى كياتها كله ، كان يأبى الارتباط ..

مجرد الارتباط !!

ولقد حاولت أكثر من صديقة إقناعها بالارتباط بشاب ما ، بحجة أن هذا يضاعف من ثقتها بنفسها ، ويمنحها نوعاً من الأمان النفسى والعاطفى ..

بل إن معظمهن حاولن دفع صديق أو آخر فى طريقها .. ولكن علاقاتها لم تنجح أبداً ..

إما أن ترفض هى الشاب ، لأنه أنانى أو تافه ، أو يرفضها هو بحجة أنها باردة عاطفياً ، أو جافة أكثر مما ينبغى ..

كلهم تقريباً حاولوا تجاوز الحدود معها ..

بل كان كل هدفهم ، منذ البداية ، هو تجاوز تلك الحدود .. وكان هذا يحنقها دائماً ..

يحنقها ويغضبها ويثير اشمنزازها إلى أقصى حد ..

وغضبها كان يبعدهم دائماً ، ويدفعهم إلى ترديد الكثير من الأكاذيب والأقاويل عنها ، حتى لقد اتهمها أحدهم بأنها سادية ، ووصفها بلوح الثلج الخشن ..

ولقد آلمها ذلك الوصف للغاية ، وجعلها تبكى طوال ليلة كاملة ، خاصة وأنها تعلم أنه ليس من السهل أبداً أن ينسى الآخرون هذا ...

سيرددون وصفه مرات ومرات دون مراعاة لمشاعرها وآلامها ..

وهذا ما حدث بالفعل ..

أصبحت السخرية منها سمة عامة في الكلية كلها ، حتى آخر يوم فيها ..

ولم ينته كل هذا إلا مع تخرجها ، وعملها كمتريجة في شركة كبيرة للسياحة ..

ومع انهماكها في عملها هذا .. نسيت كل شيء عن الكلية وسخافاتها ..

وعن الارتباطات ..

حتى ظهر (هانى) ..

و (هانى) هذا أحد زملاء عملها ، وهو شاب وسيم ، طويل ، أنيق باستمرار ، له ابتسامة عذبة ، لا تفارق شفثيه

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

١١

قط ، وعينان زرقاوان ، تشعر وكأنك تغرق فيهما إلى أعماق الأعماق ، إذا ما تركزتا على وجهك ..

ولقد فعلها معها ثلاث مرات ، في يوم واحد ..

أول يوم تسلم فيه عمله معها ..

في كل مرة كانت ترفع فيها رأسها إليه ، تجده يتطلع إليها بعينيه الزرقاوين ..

وفي المرة الثالثة ، وجدته أمامها مباشرة ، والتقت عيناها بعينيه لدقيقة كاملة ، لم ينبس أحدهما خلالها ببنت شفة ..

ودون أن تدرى كيف حدث هذا ، وجدت نفسها جالسة معه ، في كازينو صغير ، يطل على نيل (القاهرة) مباشرة ..

يومها تحدثت كثيراً وطويلاً ، دون أن يُحاول حتى لمس أصابعها ..

ولأن قواعدها دائماً صارمة حاسمة حازمة ، فقد تصوّرت أن هذا دليل على أنه شاب جاد ومحترم ..

لم ينق قلبها له في عنف ، أو تتراقص مشاعرها طرباً من أجله ، كما كانت تصف صديقاتها ، ولكنها راحت تفكر

جدياً في الموعد المناسب ، الذي يمكن أن يأتي ليخطبها فيه من والدها ..

وكأى بنت ، لم تُفصح عن رغبتها هذه أبداً ، ولكنها ، في الوقت ذاته ، راحت تنتظر موعد لقائهما بلهفة واهتمام ، لتسمع من بين شفثيه كلماته الدافئة ، وعباراته الأنيقة ، التي تصف جمالها ورقتها وحسنها ..

باختصار .. لقد أدمنت مداعباته لروح الأنثى في أعماقها .. وفي عملها ، لاحظ الكل هذا ، وأدركوا أنها توليه كل اهتمامها ، على الرغم من أنها تُعتبر من الناحية الوظيفية ، رئيسته المباشرة في العمل ..

ولكنها لم تبال أبداً بهذا ..

كانت تُفثتها بنفسها تدفعها لتجاهل تعليقات ونصائح الكل ، مادامت مقتنعة بما تفعله ..

ثم جاءت الصدمة بغتة ..

وبلا مقدمات ..

فمنذ بدأ ارتباطها بـ (هاتى) ، كاتا يتبادلان الرسائل ، عبر شبكة الإنترنت ، في كل يوم ، تصحبها موسيقى عذبة ، على شاشة الكمبيوتر ..

وكانت هذه أجمل الرسائل التي تصلها عبر الإنترنت .. وأسعد لحظات حياتها ..

ولكن يبدو أن الله (سبحانه وتعالى) لم يشأ تركها طويلاً ، في جحيم الغش والخداع هذا ، فأعمى عيني (هاتى) وقلبه ، وجعله يُرسل إليها رسالة ، كان ينبغي أن يُرسلها إلى أخرى ..

أخرى تدعى (نهى) ..

في البداية ، خيل إليها أنه قد أخطأ كتابة اسمها فحسب .. ثم قرأت الرسالة ..

وتمزق قلبها بمنتهى العنف .

كل حرف من حروف الرسالة تحول إلى خنجر حاد ماض ، انغرس في مشاعرهما بلا رحمة أو هوادة ..

ففي رسالته ، كان بيث (نهى) هذه حبه وغرامه ، بنفس الكلمات والعبارات ، التي يُرسلها إليها هي ، ثم يُضيف إلى كل هذا عبارات ساخرة لاذعة ، عن رئيسته المباشرة في العمل ، وكيف أنه يتظاهر بحبها وغرامها ، حتى يحصل منها على كل الامتيازات والاستثناءات الممكنة ، ويضمن الترقى في العمل بسرعة أكبر ..

ولم يمكنها قراءة باقى الرسالة ، مع فيض الدموع ، الذى
انهمر أنهاراً من عينيها ..

لقد ذكر اسمها صراحة ، وأضاف إليه الوصف ذاته ، الذى
كانوا يستخدمونه فى الكلية ..

لوح الثلج الخشن ..

كان يعرفه منذ البداية ..

ويسخر منها طوال الوقت ..

كم بكت ليلتها !!

كم انهمر من دموعها وكرامتها وأحزانتها !!

إنها لم تتصور حتى أنها تمتلك كل هذا القدر من الدموع ..

وعندما أشرقت الشمس ، كانت قد اتخذت قرارها بالأبى

ثانية أبداً ، من أجل رجل ..

أيًا كان ..

وعندما التقت به فى الشركة ، كان هادئاً مبتسماً ، على

نحو يوحى بأنه لم يدرك هفوته بعد ..

أو لم يتصور حدوثها ..



وكانت هذه أجمل الرسائل التى تصلها عبر الإنترنت .. وأسعد
لحظات حياتها ..

وبحنان زائف سخيف ، سألتها عن سر تورم جفنيها
واحمرار عينيها ، و

وثارت في وجهه بكل غضبها وعنفها وسخطها ..

انفجرت تشرح له ما فعله ، وتصف له خسته ونذالته
ووضاعته ..

في البداية صدمه الموقف ، واحمرّ وجهه بشدة ، ثم لم
يلبث أن تحولّ بغتة إلى قط شرس ، وراح يُهاجمها بعنف
لامثيل له ، ويُردّد ذلك الوصف البغيض أمام الكل ..

والعجيب أنها ، وهي الضحية ، لم تحتمل هجومه المضاد
هذا ..

وانهارت ..

والأعجب أنها قد تقدّمت باستقالتها ، في اليوم نفسه ،
وغادرت الشركة لآخر مرة ..

كانت تشعر بأنها قد فقدت كل شيء في الدنيا ، وهي تعود
إلى منزلها ..

ولكنها لم تبك ..

لم تذرف دمعة واحدة ، على ذلك الذي طعن كل
مشاعرها ..

أو حتى على العمل الذي تركته ..

ولأسبوعين كاملين ، رفضت كل محاولات صاحب الشركة ،
لإعادتها إلى منصبها ..

كانت ترفض تمامًا العودة إلى نفس المكان ..

حتى بعد أن قاموا بفصل (هاني) ..

لم تعد تحتمل العودة إلى نفس المكان ، الذي تردّد فيه ذلك
الوصف البغيض ، على مسامع الكل ..

إنها واثقة من أن أحدًا لن يُردّده على مسامعها قط ..

ولكنهم سيتهامسون به فيما بينهم ..

وسيسخرون منه ..

ومنها ..

ولن يمكنها أبدًا أن تحتمل هذا ..

وبعد ثلاثة أسابيع كاملة ، عادت تتصل بشبكة الإنترنت ،
التي قاطعتها طوال الوقت ..

ووجدت رسالته ..

أو بمعنى أدق .. رسائله ..

رسائل (نادر) ..

كان من الواضح أنه قد أرسل أولى رسائله في نفس
الليلة ، التي غادرت فيها عملها ..

وكانت رسالة رقيقة قصيرة ..

رسالة يواسيها فيها بكلمات تحمل كل رقة وعذوبة الدنيا ،
وعبارات تفيض بحنان جارف عجيب ، لم تتصور أن تشعر به
أبدًا ، من كلمات مكتوبة على شاشة إلكترونية باردة ..

وفي رسالته الثانية ، كان يُخبرها أنه لا ينتظر ردًا على
رسائله ، ولكنه شعر برغبة قوية في إرسالها ، ولا يتمنى
سوى أن تقرأها مرة واحدة ، ثم تمحوها بعد هذا تمامًا ..

ولقد حاولت محوها بالفعل ..

ولكنها لم تستطع ..

شيء ما في أعماقها منعها من هذا ، وجعلها تُطالع باقى
الرسائل ..

كان يتحدث طوال الوقت عنها ، وعن رقتها ، ودفء
قلبها ، وروعة مشاعرهما ، ويُحاول إقناعها بأن ما حدث
لا يسىء إليها قط ، فهي قد أحببت ، ومنحت ، والطرف
الآخر هو الذى أهان ذلك الحب ورفضه ..

ولسبب ما ، راحت تُقرأ رسائله كلها مرات ومرات ..

وشعرت بالفعل بهدوء نفس كبير ، وهي تُطالع كلماته ..

منطقه الهادئ والبسيط من شفاف قلبها ، ووجد سبيله إلى
كيانها ، وداعب روح الأمل ، التي كادت تُدفن في أعماقها ..
لم تكن تعرف عنه سوى اسمه وعنوان بريده الإلكتروني ،
الذي نقلته الشبكة تلقائيًا ..

وعلى الرغم من أنها قد بذلت جهدًا كبيرًا لتجاهل الأمر ،
وجدت نفسها تُفكر فيه ، وتتساءل عن شخصيته ، وماهيته ،
وكيف توصل إلى معرفة كل هذا عنها ..

ولبعض الوقت ، راودها خاطر مخيف ..

أمن الممكن أن يكون هو نفسه (هاتى) ، الذى يُحاول
الانتقام والسخرية منها مرة أخرى !؟

أفزعتها الخاطر بشدة ، وأثار الكثير من توترها وعصبيتها ، حتى إنها قامت إلى جهاز الكمبيوتر ، وأرسلت إليه أول رسالة ..

رسالة أخبرته فيها بما تخشاه ، بكل الصراحة والوضوح ..

وجاءت إجابته في سرعة ..

وهلع ..

جاءت ليخبرها فيها أن مخاوفها لا أساس لها من الصحة وأنه لا يمكن أن يفكر مجرد تفكير في إيذاء مشاعرها ، ولو بهمسة واحدة ، ثم صارحها بأن شقيقه زميل قديم لـ (هانى) ، وبأنه هو نفسه كان أحد زملائها في الكلية .. ولقد أفزعتها زمالتة القديمة هذه في البداية ..

ولكن كلماته كانت توحى بالصدق والإخلاص ، حتى إنها تصوّرت أن الكمبيوتر نفسه قد شعر بها وأحسها .

ولقد أرسلت إليه تعتذر عن شكوكها ، وأجابها هو بأن تلك الشكوك كانت أفضل ما حدث له ، في حياته كلها ، لأنها دفعتها للكتابة إليه على الأقل ..

ومن هنا ، راحا يتبادلان الرسائل ..

ومع الوقت ، حصلت هي على عمل أفضل ، وتوطدت صلتها به أكثر ، عبر شبكة الإنترنت ، وراحا يتبادلان المعلومات والأفكار ..

وحتى الأحلام والأمنيات ..

ورويدًا رويدًا ، وجدت نفسها شديدة الاهتمام برسائله ، وشديدة اللفتة لقراءتها كل يوم ..

وكثيرًا ما حاولت أن تتذكره ، وسط شباب الكلية ..

ولكنها عجزت تمامًا ..

حتى عندما استعانت بصور الحفلات والرحلات ..

كان بالنسبة إليها شخصًا مجهولاً ، تعرف اسمه ..

فقط اسمه ..

ولكنه أفضل شخص عرفته ، في حياتها كلها ..

شخص رقيق ، دافئ حنون ، منقّف ، وصريح ..

كل السمات ، التي عاشت تحلم بها منذ الأزل ، في فارس

أحلامها ..

ويوما بعد يوم ، راح (نادر) يتسلل إلى أعماقها ، ويغوص

في كيانها ، ويحفر سردابًا عميقًا في قلبها ..

و ذات ليلة ، وهى تنتظر رسالته بلهفة ، وجدت نفسها
تعترف بأنها تُحبه ..

تُحبه بكل جوارحها ..

ويا له من حب !

عبر شبكة الإنترنت ..

وبمبادرة منها ، أرسلت إليه صورتها عبر الإنترنت ..

ثم طلبت منه أن يرسل صورته ..

ولكنه لم يفعل ..

لقد تجاهل الأمر تمامًا على الرغم من أنها قد كررته مرتين ..

ثم بدأت كلماته وعباراته تكتسى بحزن عجيب ..

حزن لم يفصح عنه قط ، ولكنه أفصح عن نفسه بكل
وضوح ، فى كل حرف أرسله إليها ، حتى إنها سألته عنه ..

ولقد أدهشه سؤالها بالفعل ..

أدهشه ، حتى إنه قد أرسل إليها واحدة من أرق رسائله ،
يصفها فيه بذات القلب الدافئ ، ويؤكد لها أن رقتها وحنانها
وحدهما أدركا الحزن فى عباراته ..

ولكنه لم يفصح عن سر ذلك الحزن ..

أبدًا ..

ثم وصلتها منه رسالة عجيبة ..

رسالة رقيقة إلى درجة لم تعهدها ، فى حياتها كلها ..

رسالة تحدثت فيها ، وكأنه يتحدث لآخر مرة ..



رسالة جعلتها تبكى .. وتبكى .. وتبكى ..

وتحطمت القاعدة ..

ها هى ذى تبكى مرة أخرى ..

من أجل رجل ..

صحيح أنه لم يقل شيئاً محزناً في رسالته ، ولكن قلبها
قرأ ما لم يكتبه ..

وشعر بما لم يفصح عنه ..

وبكل دموعها ولهفتها ولوعتها ، أرسلت ترجموه أن يفصح
عماً يعانيه ..

ولكنها لم تتلق جواباً ..

لا في اليوم الأول ، أو الثاني ، أو حتى العاشر ..

وفي كل يوم ، كانت تبكي ..

وتبكي ..

وتبكي ..

وفي كل ساعة كانت تنتظر رسائله ..

وتنتظر ..

وتنتظر ..

أسبوعان كاملان ، تورمت فيهما عيناها ، وانفطر خلالهما
قلبها ، وهي تخشى ألا ترى رسائله مرة أخرى ..

حتى جاءت تلك الرسالة ..

كانت على عكس رسالته الأخيرة ، مفعمة بالأمل والحياة ،
على الرغم من سطورها القليلة ، التي قرأتها مرات ..
ومرات .. ومرات ..

كان يعتذر عن تأخره في الإرسال ، ثم يعد بإرسال رسالة
أخرى في المساء ..

يومها امتلأت نفسها سعادة لم تحس بمثلها قط طوال
عمرها ..

سعادة شملت كل نرة في كيانها ، وجعلتها أشبه بالبدر المنير ،
حتى إن كل العاملين في الشركة الجديدة قد شعروا بهذا ،
وأعربوا عن سعادتهم به ، على نحو جعلها أكثر مرحاً
وسعادة ، و ...

وحباً ..

وفي المساء ، كانت تنتظر الرسالة بكل حب وحنان ولهفة
الدنيا ..

ومع دقائق العاشرة والنصف وصلت الرسالة ..

وكانت تحمل أكثر من مفاجأة ..

لقد اعترف لها (نادر) بأنه يُحبها ، منذ كانا زميلين في الكلية ، إلا أنه لم يجرؤ قط على التحدث إليها ، أو محاولة الاقتراب منها ..

ثم اعترف بأن ملامحه ليست جميلة أبدًا ..

بل ربّما كانت أقرب إلى القبح ..

وهذا ما منعه من إرسال صورته إليها ..

كان يخشى أن يفقدها لو فعل ..

وهو لن يحتمل هذا أبدًا ..

أما المفاجأة الأخيرة ، فهي أنه كان في الولايات المتحدة الأمريكية ، يُجرى عملية جراحية بالغة الدقة والخطورة ..

وهذا سر حزن رسائله الأخيرة ..

وسر انقطاعها أيضًا ..

ولكن العملية نجحت ، وتجاوز هو مرحلة الخطر ..

وجرؤ على مصارحتها بكل مشاعره ..

وفي نهاية الخطاب ، أخبرها أنه سيعود على طائرة (مصر

للطيران) ، التي تصل مساء الغد ..

ليلتها أيضًا بكت (هبة) ، كما لم تبك من قبل ..

ولكن دموعها هذه المرة كانت تختلف ..

تختلف كثيرًا ..

فقد كانت تحمل العديد من المشاعر المتناقضة ...

بل كل مشاعر الدنيا ..

ولكنها كعادتها ، كانت قد حسمت أمرها ، واتخذت

قرارها ، عندما أشرقت الشمس ..

وفي مساء اليوم التالي ، كانت تقف في مطار (القاهرة) ،

مرتدية أجمل أثوابها ، وحاملة باقة من الزهور ، لتستقبل

(نادر) ..

ربّما كان قبيحًا بالفعل ، في مظهره الخارجي ، كما

وصف نفسه ..

ولكنه سيظل في نظرها أجمل رجل في الدنيا كلها ..

ليس لأنه أرق وأعذب وأصدق وأروع إنسان عرفته في

حياتها كلها فحسب ..

ولكن لأنه أيضًا حبيبها ..

حبيب عمرها .. الوحيد ..

إنها لم تكن زوجته فحسب ، وإنما محبوبته ، وعشقه ،
وروحه ..

الكل كان يعرف قصة الحب الملتهب ، الذي جمع بين
قلبيهما طوال عامين كاملين ، قبل أن يرتبطا بالزواج ..
وكانا أسعد زوجين ، عرفهما الحقل الفنّي ، عبر تاريخه
الطويل ..

حياتهما كانت قصة حب لا تتوقف أو تنتهي ..

قصة حب أثارت إعجاب الكل ..

ودهشتهم ..

وحسدهم ..

وحقدهم أيضًا ..

فالعديدون اندسوا فيها ، وحاولوا إفسادها مرات ومرات ..

ومن أعماق حقدهم الأعمى ، خرجت الأقاويل والشائعات ..

في البداية نسبوا إليه خيانات عاطفية ، لم ترد بخاطره قط ..

وعندما سخرت هي من هذا ، انقلبوا إلى وسيلة أخرى ،



اللعن المفقود (قصة قصيرة)

مستحيل !

ما يطلبونه منه مستحيل تمامًا !

كيف خطر هذا ببالهم !؟

كيف يجرعون !؟

لقد فقدوها منذ أقل من عام واحد ، وعذاب قلبه وجراحه لم
تندمل بعد ، فكيف كانوا بهذه القسوة ، ليطلبوه بلحن جديد ..

مستحيل !

مستحيل !

فأشاعوا أن حبها له زائف ، وأنها تتظاهر به ، وتبالغ فيه ،
لتحظى بألحانه وموسيقاه الرائعة ..

ليجعل منها نجمة ..

بل وتمادوا ليشيعوا وجود علاقة حب ، تربطها بممثل
شباب ، فى مثل عمرها ، وأنهما يلتقيان كثيراً من خلف
ظهره ..

وكان دوره هو ليسخر من كل هذا ..

الأغبياء لا يدركون كم يحبها وتحبه ..

لا يعلمون أن علاقتها واتصالاتها بذلك الممثل الشاب
ضرورية ، لأنهما يستعدان للقيام ببطولة فيلم غنائى جديد ..

مجرد علاقة عمل لا أكثر ..

ولكنهم لا يفهمون ..

ولا يدركون ..

وها هم أولاء الآن يطلبون منه لحنًا جديدًا ، لأغنية شبابية
مرحة ، بحجة مرور عام كامل على مصرعها فى حادث
سيارة ..

وعلى احتياجه الحتمى لأجر اللحن الجديد ..

وربما كانوا على حق فى النقطة الأخيرة ..

عام بلا عمل ، استهلك كل مدخراته ، والتهم كل استثماراته ،
وتركه مع ما يكفى لإبقائه حيًا فحسب ..

ربما كان بحاجة شديدة للمال بالفعل ..

ولكن مستحيل !

لن يمكنه أن يصنع لحنًا واحدًا ، وهى تحتل كل قلبه ..

ما زالت تحتل كيانه كله ، كما لو أنها ما زالت على قيد
الحياة ..

لا يمكنه نسيانها يوماً واحداً ..

أو حتى لحظة واحدة ..

لقد قضت معه عدة شهور ، ولكنها غرست نفسها فى
كل خلية من خلاياه ..

إنه يشعر بها ..

يرأها ..

يسمعها ..

ولكن بعقله وقلبه فقط ..

لا .. لن يمكنه تلحين جملة موسيقية واحدة بدونها ..

ومن المستحيل أن يمنحهم لحنًا هزليًا ركيكًا ، بعد كل ما حققه من شهرة ومكانة !

مستحيل !

مستحيل !

ترك دموعه تنهمر على وجهه ، وهو يلتقط العود الأثرى ، الذى ورثه عن والده الراحل ، وينحيه جانبًا ، ثم يتجه إلى حجرتها ..

كثيرًا ما جلس فى تلك الحجرة لساعات وساعات ، يتأمل كل ما لمستّه أصابعها فى حياتها ..

أثوابها ..

أدوات تجميلها ..

مجوهراتها ..

وحتى أوراقها ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠) ٣٣

وفى حجرتها ، لم يستطع كبح مشاعره ، فاتفجر باكياً ، وهو يلقي جسده على أقرب مقعد إليه ..

لا يمكنه احتمال فقدها ..

لا يمكنه أبدًا ..

بكى طويلاً ، لساعة أو يزيد ، قبل أن يجف دموعه ، ويطرد فكرة اللحن الجديد تمامًا من ذهنه ..

وفى حزن دافئ ، فتح درج مكتبها الصغير ، ليطلع آخر صورها ، و ...

وفجأة ، سقط شيء ما بين قدميه ..

مفكرة وردية صغيرة ، كانت تختفى أسفل الدرج ، وسحبها هو بيده دون أن يدري ..

وفى بطء ، انحنى يلتقط تلك المفكرة الصغيرة الوردية ، التى تحمل على واجهتها قلبًا كبيرًا بارزًا ..

يا للرقّة والنعمومة !

هكذا ذوقها دائمًا ..

ناعم ، رقيق ، أنيق .. متميز ..

وبقلب مرتجف ، فتح المفكرة ، وألقى نظرة على
ما بداخلها ..

إنها يومياتها ..

الأحداث التي تعيشها ، وتدونها بخطها الرقيق الصغير يوماً
فيوماً ..

وخفق قلبه في عنف ..

إنه يقرأ ، ولأول مرة في حياته ، ما كتبه هي عن
نفسها ..

عن حياتهما ..

وحبهما ..

ومع دقات قلبه القوية ، راحت عيناه تلتهمان كلمات
المفكرة الوردية ..

واتسعت عيناه عن آخرهما ..

لقد كتبت بيدها وخطها يوميات قلبها وحبها ..

كتبت اسمها ..

واسمه ..

واسم ذلك الممثل الشاب ..

وكان كل سطر في مفكرتها يحمل حباً بلا حدود ..

ولكنه حب لم يملأ قلبه بالسعادة ..

بل بالذعر ..

وطوال الليل ، راح يقرأ يومياتها ومشاعرها ..

ويقرأ ..

ويقرأ ..

ومع أولى نسيمات الفجر ، التقط عوده الأثري ، وراح

يضع أولى نغمات لحنه الجديد ..

الحن الذي فقد ، طوال عام كامل ..

دون مبرر ..

وعندما استقبل الجمهور لحنه الجديد بإعجاب جارف ،
بعد عدة أيام فحسب ، ارتسمت على شفثيه ابتسامة سعادة
جارفة ..

ابتسامة لاتحمل أثراً للحزن ..

أدنى أثر .

روايات همدان الحديد



العقرب

مهمة رسمية

الحلقة الأولى



- الواقع أن الازدحام قد بلغ حدًا غير محتمل .. لا بد من وجود حل له ، قبل أن يأتي يوم ، لانجد فيه موضعًا لقدم .

ابتسم الرجل ، قائلاً :

- اطمئني ياسيّدتي .. أعتقد أن المشكلة ستجد حلاً جذرياً ، خلال عام واحد على الأكثر .

ابتسمت ساخرة ، وهي تغلق سيارتها ، قائلة :

- يالك من متفائل !

هزّ كتفيه ، قائلاً :

- ليس للأمر علاقة بالتفاؤل .. إنهم ينشئون هنا جراجًا متعدّد الطوابق بالفعل ، يمكنه استيعاب ما يقرب من ثلاثين ألف سيارة .

ارتفع حاجباها في دهشة ، وهي تهتف :

- هنا .. في وسط المدينة ؟!

أشار بيده إلى منطقة قريبة ، قائلاً :

- نعم ياسيّدتي .. هل ترين ذلك المبنى ذا الطابقين هناك ؟ المبنى القديم الطراز .. إنهم يبدعون في هدمه بالفعل ،

١- زيارة مفاجئة ..

من المؤكّد أن (غادة) ، زميلة (نديم فوزى) ، في مكتب المحاماة ، لم تشهد زحامًا ، في منطقة وسط المدينة ، مثلما شهدته في ذلك الصباح الحار ، وهي تدور بسيارتها ، وتدور ، وتدور ، بحثًا عن موقع واحد للانتظار ..

ولقد استغرق منها هذا الأمر نصف ساعة كاملة ، قبل أن تجد مكانًا منزويًا لسيارتها ، احتاجت إلى عشر دقائق كاملة ، لتصل إليه وتغادر سيارتها ، هاتفًا في حلق :

- يا إلهي ! ماذا يردون منا بالضبط ؟! أن نتحوّل إلى بهلوانات ؟!

ضحك منادى السيارات القريب لعبارتها ، وعلّق في سخريّة :

- أمر طبيعي ياسيّدتي .. البهلوان وحده يمكنه قيادة سيارته في وسط المدينة .

زفرت مغممة :

وعلى مساحة أرضه الضخمة ، سيقومون مبنى من ثلاثين طابقاً .. بالإضافة إلى ثلاثة طوابق تحت أرضية ، وسيتم استغلال تلك الطوابق الثلاثة ، بالإضافة إلى أربعة من طوابق المبنى ، كجراج متعدد الطوابق ، أما الطوابق الباقية ، باستثناء معظم الطابق الأرضي ، فستحتلها شركات ومؤسسات خاصة شهيرة .

سألته في اهتمام :

- وماذا عن الطابق الأرضي ؟!

بدا متهللاً على نحو أدهشها ، وهو يلوح بذراعيه ،
مجيئاً :

- هذه هي المفاجأة .. إنهم سينشئون هنا مجمعاً تجارياً عملاقاً ، يمكنك أن تجدى فيه كل شيء .. من الإبرة إلى الصاروخ .

ارتفع حاجباها بدهشة ، وهي تحدق فيه بحيرة تمتزج بالشك والتساؤل .. ترى كم تبلغ تكلفة مشروع عملاق كهذا ؟!

كم ؟!

كم ؟!

« نصف مليار جنيه على الأقل !! »

نطق (نديم) الجواب في هدوء وحرصاً كعادته ، وهو يجلس خلف مكتبه الأنيق ، عندما روت له الأمر كله ، فارتفع حاجباها بدهشة كبيرة ، وهي تهتف مستنكرة :

- نصف مليار جنيه ؟! يا إلهي ! ومن يمتلك مثل هذه الثروة الهائلة ؟

شبك أصابع كفيه أمامه ، وهو يجيب بنفس الهدوء :

- ربما هي مجموعة من المستثمرين .

هتفت بنفس الدهشة :

- وكم سيربحون من مشروع كهذا ؟!

صمت بضع لحظات ، وهو يتطلع إليها بلامح جامدة خاوية ، قبل أن يجيب في ببطء يوحى بتفكير عميق :

- ربما لا يعينهم هذا كثيراً .

أدهشها الجواب ، فحدقت فيه بدهشة ، مغممة :

- ماذا تعنى يا (نديم) ؟!

أتاهما صوت هادئ رصين وقور ، يجيب :

- إنه يشير إلى عملية غسيل الأموال القذرة يا بنيتى .
التفتت (عادة) فى دهشة مستنكرة إلى مصدر الصوت ، فى
حين نهض (نديم) من خلف مكتبه ، وهو يبتسم فى هدوء
قائلاً :

- مرحباً يا سيادة اللواء .. كم تدهشنا وتسعدنا زيارتك
المفاجئة هذه .

ارتسمت ابتسامة باهتة ، على شفتى اللواء (حلمى) ،
وهو يلوح بملف صغير فى يده ، ويهز كتفيه ، قائلاً :

- معذرة لدخولى بهذا الأسلوب ، الذى يفتقر إلى اللياقة ،
ولكن عم (أحمد) لم يكن هنا ، وأنا فى عجلة من أمرى ،
و....

قاطعه (نديم) ، وهو يتجه إليه ، ويصافحه فى حرارة
حقيقية :

- أنت على الرحب والسعة دوماً يا سيادة اللواء .

وابتسمت (عادة) ، فى محاولة لإخفاء توترها ، وهى
تغمغم :

- بالتأكيد ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

واصل اللواء (حلمى) ابتسامته الباهتة ، وهو يتجه
إلى مقعد قريب ، قائلاً :

- الواقع أننى كنت فى الجوار ، ورأيت أن أزوركما بعض
الوقت .

رَبَّت (نديم) على ركبته ، قائلاً بابتسامة ودود :

- أهلاً بك فى أى وقت يا سيادة اللواء .

اكتسبت ابتسامة اللواء (حلمى) بعض الحرارة ، وقال ،
وهو يضع الملف على مكتب (نديم) :

- الحقيقة أن رؤيتك تسعدنى دوماً يا (نديم) ، فأنت
واحد من أفضل تلاميذى ، وأكثرهم كفاءة وبراعة .

قالت (عادة) ، فى شىء من الحذر :

- كان هذا فيما مضى يا سيادة اللواء .

ابتسم اللواء (حلمى) ابتسامة كبيرة ، قائلاً :

- ربما اختلفت الوسائل والمسميات ، ولكن الهدف مازال
واحدًا يا بنيتى .

وأدار عينيه مرة أخرى إلى (نديم) ، مستطرذاً :

- ليس كذلك !؟

ابتسم (نديم) ، وتراجع في مقعده ، قائلاً :

- بالتأكيد .

رمقت (عادة) (نديم) بنظرة جانبية دون تعليق ،
وتراجعت في مقعدها بدورها وعقدت ساعديها أمام صدرها ،
في انتظار الخطوة التالية ..

ولم يطل انتظارها ، فما إن ساد السكون لحظة ،
حتى تتحنج اللواء (حلمي) ، واعتدل في مقعده ،
قائلاً :

- الواقع أنه هناك قضية تفلقتنا بشدة ، في الآونة
الأخيرة .

سأله (نديم) في اهتمام :

- أية قضية !؟

هزّ اللواء (حلمي) كتفيه ، قائلاً :

- نفس ما كنتم تتحدثان حوله الآن .. قضية غسل
الأموال القذرة(*) .

وتتحنج مرة أخرى ، قبل أن يتابع :

- من العجيب أن هذا الأمر قد انتشر على نحو مخيف ،
في السنوات العشر الأخيرة ، وخاصة مع تكثيف الحملات
ضد تجار ومهربى المخدرات ، ومحاصرة مزورى العملة ،
وتشديد الرقابة على الحدود ، والمشكلة أنه ليست لدينا قواتين
للرقابة على إيرادات البنوك ، مثل تلك المطبوعة في الولايات
المتحدة الأمريكية مثلاً ، والتي تحظر إيداع مبلغ يزيد على
عشرة آلاف دولار ، دون تحديد مصدره بدقة(**) ، مما أحدث
فوضى في الإيداعات ، أدت إلى ظهور عدد مفاجئ من
المليونيرات ورجال الأعمال ، أنشئوا عشرات المشروعات
العملاقة ، دون تحديد مصادر ثرواتهم .

(*) غسل الأموال القذرة : مصطلح يُستخدم للتعبير عن استخدام النقود ،
التي يتم ربحها من تجارات غير مشروعة ، مثل تزوير النقد ، أو تجارة
المخدرات والسلاح ، لإنشاء مشروعات رسمية وقانونية ، تدرّ أرباحاً كبرى ،
على نحو واضح علني ومشروع ، بحيث تختفي الأرباح غير المشروعة ، وسط
الأرباح المشروعة ، ولقد اتخذت كل الدول إجراءات صارمة ، للحد من عمليات
غسل الأموال القذرة ومقاومتها ، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية .

(***) حقيقة .

غمغم (نديم) :

- أمر مخيف بحق يا سيادة اللواء .

تنهّد اللواء (حلمى) ، وقال :

- نحن لا نستطيع بالطبع ملاحقة كل هؤلاء ، ومراقبتهم ، لكشف حقيقة نشاطاتهم ، وما من وكيل نيابة سيسمح بالتنصّت على محادثاتهم الهاتفية ، أو تسجيل اجتماعاتهم ، لأن .. صمت لحظة ، قبل أن يتطلّع إلى عين (نديم) مباشرة مضيفاً :

- لأن القانون يحظر هذا .

ارتفع حاجبا (غادة) فى دهشة ، وخيّل إليها أنها قد فهمت ما يرمى إليه اللواء (حلمى) ، فى حين ابتسم (نديم) بنفس الرصانة ، قائلاً :

- بالتأكيد .

تنهّد اللواء (حلمى) على نحو يوحى بأنه يحمل فى أعماقه كل هموم الدنيا ، قبل أن يشير بيده ، متسائلاً فى شيء من الحذر :

- هل تعرف اسم (رشاد السلباوى) يا (نديم) !؟

بدا الاسم مألوفاً لـ (غادة) ، فاتفقت حاجباها فى شدة ، وهى تعتصر ذهنها لتتذكر أين سمعته أو قرأته ، أما (نديم) ، فقد أجاب بهدوء عجيب :

- بالطبع .. (رشاد السلباوى) اسم يتردد كثيراً ، فى الآونة الأخيرة ، فهو رجل أعمال ، أقام فى الولايات المتحدة الأمريكية لربع قرن تقريباً ، ثم عاد إلى (مصر) ، ليقيم عدداً من المشروعات الضخمة ، مثل القرى السياحية فى الساحل الشمالى ، وساحل البحر الأحمر ، وشركات الاتصالات ، والمراكز التجارية العملاقة ، وغيرها .

أوماً اللواء (حلمى) برأسه موافقاً ، وأضاف :

- وهو صاحب ذلك المبنى ، الذى يضم جراجاً متعدد الطوابق ، على مقربة من هنا .

هتفت (غادة) :

- هو صاحبه !؟ آه تذكرت الآن أين قرأت الاسم .. كان مكتوباً على لافتة كبيرة ، معلقة على المبنى الذى يتم هدمه .

لم يعلق اللواء (حلمي) على عبارتها ، وإنما تنهّد مرة أخرى ، تلك التهيدة الملتهبة ، فمال (نديم) وحده ، وسأله على نحو مباشر :

- ما الذي يقلقكم بشأن (رشاد السلباوى) يا سيادة اللواء !؟

هزّ اللواء (حلمي) رأسه ، قائلاً :

- الرجل سليم ونظيف ، من الناحية القانونية ، ومشروعاته كلها مقاومة بإجراءات وأوراق سليمة ، ولكن .. توقّف عند هذه النقطة ، وبدا عليه توتر أكثر ، جعل (نديم) يسأله فى بطء :

- ولكن ماذا !؟

لوح اللواء (حلمي) بذراعه ، وكأنما يشعر بالحيرة ، قبل أن يضيف :

- إننا لا نعرف شيئاً عن مصدر ثروته الضخمة هذه ، فقد عاد من الولايات المتحدة الأمريكية ، ليفتح حساباً فى أحد البنوك ، بربيع مليون دولار فحسب ، وبعدها وصلته

ملايين الدولارات ، عن طريق تحويلات بنكية مباشرة ، من دول (أمريكا اللاتينية) ، التى لا توجد بها تشريعات لتقتين الإيداع النقدى بالبنوك .

غمغم (نديم) :

- هذا قانونى تماماً .

أشار إليه اللواء (حلمي) ، قائلاً :

- بالضبط .. والمثير للانتباه والاهتمام ، وهو أن المبالغ التى وصلته ، والتى لا تتجاوز ستة ملايين من الدولارات ، كانت آخر ما وصله من تحويلات ، إذ أصدرت تلك الدول ، فى (أمريكا اللاتينية) تشريعات جديدة ، جعلت تحويل مثل هذه المبالغ الضخمة أمراً مستحيلًا ، وعلى الرغم من هذا ، فقد بدأ فى إقامة مشروعات عملاقة ، تتكلف عشرات الملايين من الدولارات ، بما يفوق مركزه المالى عدة مرات .

سأله (نديم) فى اهتمام :

- ولماذا لم يتم سؤاله عن مصدر أمواله !؟

تنهّد اللواء (حلمي) ، قائلاً :

- الرجل له نشاط اجتماعي وسياسي كبير ، وصلاته بعدد من كبار المسؤولين ، تضيف عليه نوعاً من الحصانة غير الرسمية ، بحيث لا يمكننا توجيه أية اتهامات إليه ، دون أدلة قوية حاسمة ، لا تقبل الشك .

ثم تراجع على مقعده ، ورمق (نديم) بظرة جانبية ، مضيفاً :

- ولا يمكننا أن نحصل على تلك الأدلة ، بشكل قانوني محض .

تراجع (نديم) بدوره ، وهو يقول في ببطء حذر :

- يمكنني استيعاب هذا .

نقلت (عادة) بصرها بينهما في دهشة عارمة ، وهي تتساءل : ما الذي يحدث بالضبط !؟

ما الذي يحاول اللواء (حلمي) إبلاغه لـ (نديم) !؟

ترى هل !؟

قبل أن يكتمل التساؤل في أعماقها ، كان (نديم) يسأل في اهتمام :

- أهذه نقطة الشك الوحيدة !؟

هز اللواء (حلمي) رأسه نفياً ، وهو يجيب :

- كلاً .. هناك أيضاً تلك الأموال الطائلة ، التي يقوم (رشاد السلباوي) بتحويلها إلى حساب شركته ، في الولايات المتحدة الأمريكية ، وهي شركة بدأت صغيرة بسيطة ، ثم لم تلبث أن تحولت ، بفضل تحويلاته الضخمة ، إلى شركة من أكبر شركات (لوس انجلوس) ..

غمغم (نديم) ، وكأنه يحدث نفسه :

- والأموال التي يتم تحويلها من هنا ، تعتبر بالنسبة للقانون الأمريكي ، واردة من مصدر معلوم ، ولا جناح على إيداعها هناك .

هتف اللواء (حلمي) :

- بالضبط .

ثم نهض من مقعده ، ودار حول مكتب (نديم) ، وهو يضيف :

- إنها باختصار ، عملية تهمة اقتصاد (مصر) كله ، وأمنها

وسلامتها على المدى الطويل ، ولكنها لعبة تتم على نحو
قانوني ماهر ، بحيث نعجز نحن ، كجهاز أمن رسمي ، عن
التصدى لها ، ولكن ..

امتدت يده في هدوء ، نحو جزء خفي من الجدار ، خلف
مكتب (نديم) مباشرة ، وضغطه في رفق ، وهو يوليه
ظهره مكملاً :

- ربما كان هناك من يمكنه السعي وراء العدالة ، دون
التقيد بكل تعقيدات القانون .

كاد قلب (غادة) يقع بين قدميها ، عندما انكشفت تلك
الفجوة في الجدار ، إثر ضغطة اللواء (حلمي) ، ليظهر
خلفها زي أسود اللون ، مع قناع من اللون نفسه ، لم يلق
عليهما اللواء (حلمي) نظرة واحدة ، وهو يتنسم مكرراً :

- ربما .

قالها ، وغادر المكتب بخطوات ثابتة قوية ، دون أن
يحاول الالتفات إلى زي (العقرب) لحظة واحدة ، في حين
حبست (غادة) أنفاسها بقوة ، حتى أغلق الباب خلفه ،
فهمتفت في دعر :



امتدت يده في هدوء ، نحو جزء خفي من الجدار ، خلف مكتب
(نديم) مباشرة ، وضغطه في رفق ..

- رباہ ! إنه يعرف كل شيء .

ارتسمت ابتسامة على شفתי (نديم) ، وهو يقول :

- بالتأكيد .

نطقها ، ثم التفت إلى ذلك الملف ، الذي تركه اللواء (حلمي) عمداً على سطح مكتبه ، وفتحته ليلقى نظرة على محتوياته ، قبل أن تتسع ابتسامته في ثقة وارتياح ..

فالمف كان يضم كل المعلومات الممكنة عن الهدف

الجديد ..

عن (رشاد) ..

(رشاد السلباوي) .

٢ - عودة (العقرب) ..

« كل شيء قانوني تماماً .. »

نطق (إدوارد) ، محامى (رشاد السلباوي) العبارة في خبث ، وهو يبتسم ابتسامة واسعة عريضة ، ويغمز بعينه ، مضيفاً :

- حتى الشحنة الأخيرة ، التي وصلت إلى الجمارك صباح اليوم ، أوراقها كلها سليمة تماماً .

غمغم (رشاد) في خشونة :

- أمر طبيعي .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف في صرامة :

- المهم ألا نفقد ورقة واحدة .

اتسعت ابتسامته (إدوارد) ، وهو يقول :

- لا توصنى .. أنا أعرف كل شيء ، وأشرف عليه

بنفسى .

تمتم (رشاد) في اقتضاب :

- عظيم .

وعاد يخفى وجهه بين الأوراق التي يطالعها ، متابعاً :

- أخبرني عندما تصبح الشحنة كلها في مخازننا ، وأبلغ شركاءنا في (لوس أنجلوس) ، أننا سنقوم بتحويل المبلغ المعتاد إليهم ، في نهاية الأسبوع .

تساعل المحامي ، في شيء من الخبث :

- مليوناً دولار كالمعتاد!؟

أجابه (رشاد) في صرامة

- أنت تعرف أكثر مني .

ران عليهما الصمت بضع دقائق ، بعد هذه العبارة الأخيرة ، انشغل خلالها (رشاد) ، أو تشاغل ، بمطالعة بعض أوراقه ، وكأنما يعلن محاميه بانتهاك المقابلة ، إلا أن هذا الأخير لم يبارح مقعده ، وإن لاذ بالصمت أيضاً ، وظلّ يتطلع إليه بنظرة صارمة غاضبة ، قبل أن يقطع الصمت بغتة ، قائلاً :

- بلغني أنك تنوى ترشيح نفسك ، في انتخابات مجلس الشعب القادمة .

انعقد حاجبا (رشاد) في شدة ، وكأنما بوغت بالعبارة ، لم يلبث أن خلع نظاره بنفس البطء ، الذي رفع به عينيه إلى المحامي ، قائلاً في شيء من الشراسة ، لم يستطع كبجه :

- وماذا في هذا!؟

قال المحامي بصرامة :

- كان ينبغي أن تستشير الأصدقاء في (لوس أنجلوس) أولاً .
زمجر (رشاد) ، قائلاً في حدة :

- وما شأنهم بأمر كهذا!؟ من الطبيعي أن أسعى بكل السبل ، لدعم موقفي هنا ، وعضوية مجلس الشعب تمنحني حصانة قانونية ، وسلطة كبرى ، يحتاج إليها العمل .

هتف المحامي :

- خطأ يا (رشاد) بك .. خطأ .. عضويتك لمجلس الشعب ستضعك في دائرة الضوء ، وتحت اهتمام ورقابة رجال الصحافة ، الذين كشفوا من قبل تورط بعض أعضاء مجالس الشعب السابقة في تجارات غير مشروعة ، مما دفع المجالس إلى سحب عضويتهم ، وتقديمهم للمحاكمة (*) .

صاح (رشاد) ، وهو ينهض من خلف مكتبه بحركة حادة :

- أغبياء ! الصحافة لن تتوقف عن النبش خلفنا ، سواء أكنت عضواً في مجلس الشعب أو لا ، وربما كان هؤلاء الأصدقاء الأمريكيون عابرة في مضمارهم ، ولكنهم يجهلون كل شيء عن طبيعة شعبنا وحياتنا ، ولا يدركون أن حصانة كهذه تمنحك القوة على تجاوز كل القوانين ، و

قاطعته فجأة أزيز جهاز الاتصال الداخلى الخاص على مكتبه ، فبتر عبارته بغتة ، على الرغم من احتقان وجهه ، وضغط زر الاتصال ، قائلاً بصوت مختنق ، لم يفارقه الانفعال بعد :

- ماذا هناك يا (نسرين) ؟!

أجابته سكرتيرته الحسنة ، فى صوت خافت حذر :

- معذرة يا (رشاد) بك ، ولكن هنا شخص يصير على مقابلتك شخصياً .

هتف فى حدة :

- مقابلتى أنا ؟! ومن هو بالضبط ؟!

صمتت لحظة ، قبل أن تجيب فى حذر :

- محام شاب ، يدعى (نديم فوزى) .

قال فى عصبية :

- (نديم فوزى) ؟! وماذا يريد محام شاب منى شخصياً ؟! لماذا لم يلتق بأحد أفراد الشئون القانونية ؟!

لم يكذب (إدوارد) يسمع اسم (نديم) ، يتردد على شفتى (رشاد) ، حتى انتفض جسده فى عنف ، وهب من مقعده بوثبة مباغته ، وأمسك يد (رشاد) ، هاتفاً بصوت مبجوح ، يموج بالانفعال :

- دعه ينتظر لحظة .

حدق فيه (رشاد) بدهشة مستنكرة ، فتابع (إدوارد) ، وهو يضغط زر إنهاء الاتصال ، مستطرداً فى توتر :

- أريد منك أن تلتقى به .

انعقد حاجبا (رشاد) فى غضب ، ولكنه عاد يضغط زر الاتصال ، قائلاً لسكرتيرته :

- فليكن .. دعيه ينتظر بضع لحظات ، وسألتقى به فوراً .

ثم أنهى الاتصال ، وهو يلتفت إلى محاميه ، هاتفاً فى حنق :

- ما معنى هذا بالضبط؟! لماذا تريد أن ألتقى بمحام شاب تافه؟!
شباب تافه؟!!

تراجع (إدوارد) ، وأشعل سيجارته فى عصبية ، وهو يقول :

- (نديم فوزى) محام شاب بالفعل ، ولكنه ليس تافهاً أبداً .. وزيارته لك شخصياً ، تعنى أنه قد وضعك على قائمته ، وهذا أمر مقلق للغاية .

حدق (رشاد) فيه بدهشة ، قبل أن يهتف ساخطاً :

- ما الذى يعنيه كل هذا بالضبط؟! تتحدث عن ذلك المحامى الشاب ، وكأنه (سوبرمان) مثلاً .

هز المحامى رأسه ، وهو ينفث دخان سيجارته فى توتر ، قائلاً :

- إنه ليس كذلك بالتأكيد ، ولكنه أيضاً شخص لا يستهان به .. ربما تجده شاباً هادئاً ، رصيناً ، بسيطاً ، عندما تلتقى به فى شخصيته المعلنه ، ولكننى واثق من أنه لن يروق لك أبداً أن تلتقى به ، فى شخصيته الأخرى .

حدق (رشاد) فيه بدهشة أكبر ، وهو يقول :

- شخصية أخرى .. أهو مصاب بازواج فى الشخصية؟!!

ابتسم (إدوارد) فى سخرية عصبية ، نفت بها دخان سيجارته مرة أخرى ، قبل أن يجيب :

- نعم .. ولكنه ازواج لن يروق لك أبداً .. ازواج من نوع بالغ الخطورة ، فما إن يستثير حماسه أمر ما ، حتى يتحول إلى ...

ومال نحو (رشاد) بشدة ، مضيفاً :

- عقرب .

اتسعت عينا (رشاد) أكثر ، وحملت ملامحه بلاهة لا يميز بها أبداً ، فتراجع (إدوارد) ، قائلاً :

- دعك من التفكير الطويل ، فلنلتق به أولاً ، لنعرف ماذا يريد منا ، ثم أشرح لك كل شىء فيما بعد .

بقى (رشاد) على دهشته لحظات ، ثم لم يلبث أن هز رأسه ، وكأنما ينفذ عنه كل هذا ، قبل أن يشير بيده ، قائلاً :

- فليكن .. سنلتقى به .

نطقها بتوتر شديد ، لم يفارقه لحظة واحدة ، وهو يستقبل (نديم) فى مكتبه ، ويفحصه من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، متسائلاً فى حذر :

- أهلاً ياسيد (نديم) .. هل لى أن أعرف سر هذه الزيارة المفاجئة ، وسر إصرارك على مقابلتى شخصياً ؟!

جلس (نديم) على المقعد المواجه لمكتب (رشاد) ، دون أن يدعو هذا الأخير لذلك ، ورمق (إدوارد) ، الذى يقف عند النافذة صامتاً ، بنظرة لا مبالية ، وهو يقول :

- لقد أقمت دعوى قضائية ضدك ياسيد (رشاد) ، وأردت أن تعرف بأمرها ، قبل أن تصلك عريضة الدعوى رسمياً .

انعقد حاجبا (إدوارد) فى توتر ، غير مصدق أن يكون هذا هو السبب الحقيقى لزيارة (نديم) ، فى حين قال (رشاد) فى عصبية :

- دعوى قضائية ؟! بشأن ماذا ؟!

هز (نديم) كتفيه فى بساطة ، قائلاً :

- إنك تفسد البيئة ، بذلك المبنى الحديث الضخم ، الذى ستقيمه فى وسط المدينة ، فطرازه جزء من التلوث البصرى ، و

قاطعته (رشاد) فى حدة :

- هذا فقط ؟!

ابتسم (نديم) ابتسامة غامضة ، استفزت الرجل أكثر ، فهب من خلف مكتبه ، مستطرداً فى غضب :

- هل طلبت مقابلتى شخصياً ، لسبب تافه كهذا ؟!

اتسعت ابتسامة (نديم) ، وهو ينهض فى هدوء ، قائلاً :

- هل تعتبر تشويه البيئة سبباً تافهاً يا سيد (رشاد) ؟

انعقد حاجبا (رشاد) فى ثورة ، وتجاهل إشارة (إدوارد) المتوترة ، وهو يضغط زر جهاز الاستدعاء على مكتبه ، قائلاً :

- إنه كذلك بالتأكيد .

لم تمض لحظة على ضغطة الزر ، حتى ظهرت السكرتيرة (نسرين) على عتبة الحجر ، بصحبة اثنين من رجال أمن الشركة ، أشار إليهما (رشاد) ، قائلاً فى حدة :

- اصطحبا السيد (نديم) للخارج .

تحرك الحارسان نحو (نديم) بعدوانية ظاهرة ، إلا أنه ظل على هدوئه ، وهو يتجه إلى الباب ، قائلاً :

- ستصلك عريضة الدعوى بعد غد على الأكثر .

صاح (رشاد) فى حدة :

- لا تسمحوا له بمقابلتى مرة أخرى .

احتقن وجه (إدوارد) ، والحارسان يصطحبان (نديم) خارج الحجرة ، وما إن أغلقا الباب خلفهما ، حتى قال فى حدة عصبية :

- خطأ يا (رشاد) بك .. خطأ .. ما كان ينبغي أن تفقد أعصابك أبداً .

صاح (رشاد) :

- ألم تسمع ما قاله ذلك الوقح !؟

قال (إدوارد) فى توتر :

- (نديم) لم يكن هنا ليبلغك بأمر دعوى كهذه حتماً .. إنه يحاول دراسة شخصيتك وردود أفعالك .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتطلع إلى المقعد الذى غادره (نديم) منذ لحظات ، مضيقاً فى عصبية :

- أو أن له هدفاً آخر .

ازداد انعقاد حاجبيه ، عندما بلغ هذا الحد من التفكير ، واندفع يلتقط جهاز الهاتف الداخلى ، ويضغط أزراره فى سرعة ، ثم يقول :

- (جابر) .. اسمعنى جيداً .. هناك محام شاب سيغادر المكان الآن .. أرسل خلفه أحد رجالنا .. أريد أن أعرف أين سيذهب ، ومن سيقابل .. نعم .. أريده أن يلتزمه كظله ، حتى إشعار آخر .. اسمعنى أيضاً .. أريد منك أن تصعد بنفسك ، لفحص حجرة مكتب (رشاد) بك .. نعم هناك احتمال لا يمكن تجاهله .

لم يكذ ينهى المحادثة ، حتى هتف (رشاد) فى غضب :
- يفحص مكتبى !؟ أى هراء هذا !؟ ما الذى تتوقعه بالضبط !؟ أجهزة تنصت !؟

قال (إدوارد) فى صرامة عصبية :

- ولم لا !؟

اتسعت عينا (رشاد) فى ارتياح ، وهو يهتف :
- يا إلهى ! أهذا ممكن !؟
بدا المحامى أشبه بالشيطان ذاته ، وهو يدير عينيه فى الحجرة بتوتر بالغ ، قائلاً :

- إنه أحد الاحتمالات القوية ، وإلا فلماذا جاء (نديم) لمقابلتك شخصياً !؟ لماذا !؟

نعم أيها المحامي الثعلب ..

هذا هو السؤال ..

لماذا جاء (نديم) ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

« لقد أرسلوا من يتبعك بالفعل .. »



نطقتها (عادة) فى سخرية ، وهى تختلس النظر ، من خلف ستارة النافذة السميكة ، إلى الرجل الذى يقف على الإفريز المواجه للبنائة ، متظاهراً باللامبالاة ، وهو يراقب المكان جيداً ، فابتسم (نديم) فى هدوء ، وهو يقول :

- عظيم .

سألته فى دهشة مستنكرة :

- لماذا دفعتمهم إلى هذا ؟!

هزّ كتفيه ، مجيباً :

- أنا لم أضعهم إلى أى شىء .. كل ما فعلته هو أن ذهبت لزيارتهم ، ولكن شعورهم بالخطر هو الذى دفعهم لإرسال أحد رجالهم خلفى .

ثم تراجع فى مقعده بهدوء ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، مضيقاً :

- وهذا ، من وجهة نظرى ، اعتراف بالذنب .

التقى حاجباها ، وهى تشير بسبابتها ، قائلة :

- السؤال هو : هل يتعقبون (نديم فوزى) المحامى ،

أم ...

ومالت نحوه ، مضيئة بلهجة ذات مغزى :

- أم (العقرب) .

اتسعت ابتسامته ، وهز كتفيه ، قائلاً بنفس الهدوء :

- من الناحية المنطقية ، ليس هناك سبب واحد ، يدعوهم لإرسال أحد رجالهم ، ليتعقب محامياً ، بسبب دعوى بينية أقامها ضدهم .. وليس من المنطقي أيضاً ، أن يعرف أشخاص عاديون ، لا هم لهم سوى التجارة وإنشاء المشروعات المختلفة ، أن (نديم فوزى) ، هو فى حقيقة الأمر مكافح سرى للجريمة ، يحمل اسم (العقرب) .

ونفض من خلف مكتبه ، واتجه بدوره إلى النافذة ، مضيئاً :

- وكل هذا يعنى أننا نسير فى الطريق الصحيح ، وأن (رشاد السلباوى) ، ومن خلفه ، ليسوا مجرد رجال أعمال كبار .. إنهم فى الواقع من العمالقة .

واختلس نظرة إلى الرجل الذى يراقب المكان ، مكملاً فى حزم :

- عمالقة الجريمة .

لم يرق لها كثيراً ما سمعته ، فقالت فى توتر :

- ما تقوله بالغ الخطورة يا (نديم) ، فهو لا يعنى أنك تواجه عتاة إجرام فحسب ، ولكن يعنى أيضاً أنه لم يعد هناك غطاء قوى ، على حقيقة شخصيتك .

صمت لحظة ، قبل أن يجيب فى حزم :

- لقد اتكشف الغطاء ، منذ نزعت الإمبراطورة قناعى أمام رجالها ، منذ عام أو يزيد (*) ، وأنت تعلمين ، بحكم عملنا السابق كضابطى شرطة (**) ، أن الأخبار تنتشر بسرعة مدهشة ، فى العالم السفلى .

هتفت فى ارتياح :

- رباه ! هذا يعنى أننا سنواجه الخطر طوال الوقت .

قال فى صرامة :

- إننا نواجهه بالفعل طوال الوقت .

(*) راجع قصة (الإمبراطورة) ، فى أعداد (كوكتيل ٢٠٠٠) بدءاً من الكتاب الثامن .. (تحقيق - وقصص أخرى) ..

(**) راجع قصة (سيف العدالة) ، فى أعداد (كوكتيل ٢٠٠٠) ، بدءاً من الكتاب الأول .. (النبوءة - وقصص أخرى) ..

ثم رفع رأسه إليها ، مضيفاً :

- ولكن الأمر يختلف كثيراً هذه المرة .

قالها ، واتجه إلى ما خلف مكتبه ، وضغط الزر الخفى فى الجدار ، لتتكشف الفجوة التى تحوى زيه الأسود ، وهو يكمل :

- فالعقرب لا يعمل هذه المرة منفرداً .. إنه يعمل من خلال مهمة .

وتراقصت ابتسامة جذلة على شفثيه ، وهو يضيف فى حزم :

- مهمة رسمية .

وأدركت (غادة) أن (العقرب) قد عاد إلى عالم مكافحة الجريمة ..

وبكل قوته .

٣ - الشحنة ..

فغر (رشاد) فاه فى ذهول ، وهو يحذق فى وجه محاميه ، ويستمع إليه فى دهشة ما بعدها دهشة ، والأخير يروى له كل ما يعرفه عن (نديم فوزى) و (العقرب) ..

ولدقيقة كاملة ، بعد أن انتهى (إدوارد) من روايته ، ظل (رشاد) صامتاً ، ذاهلاً ، مصدوماً ، قبل أن ينتزع نفسه من كل هذا فى عنف ، هاتفاً :

- مستحيل ! لا يمكن أن يكون لدينا شيء كهذا فى (مصر) .. مستحيل !

قال المحامى فى صرامة :

- لكل شيء بداية .

لوح (رشاد) بذراعه ، هاتفاً :

- إلا هنا .. (مصر) ليست (المكسيك) أو (نيويورك) ، ليظهر فيها (زورو) أو (باتمان) .. إننا شعب مختلف تماماً حتى إنك لو حوكت ما أخبرتنى به إلى فيلم سينمائى ، لما صدقه مشاهد واحد ، ولاتهموك بالمبالغة والتخريف .

قال المحامى بصرامة أكثر :

- ربما ، ولكن ما أخبرتك به واقعى وصحيح تماماً ،
وأخشى أن تتطور الأمور ، لتواجهه بنفسك .

تراجع (رشاد) بحركة حادة ، هاتفاً فى هلع :

- أواجهه !؟

قال المحامى فى شراسة :

- نعم .. لو ظلت تولول كالأرامل ، بدلاً من أن تستوعب
الأمر ، وتتصدى له بالصرامة اللازمة .

هتف (رشاد) ، وهو يواصل تراجع المذعور :

- أتصدى له !؟ أنت تعلم أننى لا أستطيع هذا .. تلك
الأمور من اختصاصك أنت .

اعتدل (إدوارد) ، مجيباً :

- بالتأكيد .. كلانا يعلم هذا ، وكذلك الأصدقاء فى
(لوس أنجلوس) .. لهذا استخدموك كواجهة أنيقة فحسب ،
فى حين وضعوا كل السلطات الأخرى فى قبضتى أنا .

لوح (رشاد) بذراعه ، قائلاً فى عصبية :

- فليكن أيها المتباهى .. تول أنت الأمر كله ، وتذكر أننى
لا أريد أن أعرف ما ستفعله .

قال (إدوارد) فى سخرية متوترة :

- رقة المشاعر وحساسية الدم مرة أخرى ! لست أدري
كيف يمكن لمثلك أن يعمل معنا .

هتف (رشاد) فى حدة :

- تذكر أنهم هم سعوا إلى ، ولم أسع أنا إليهم .

قال المحامى فى سخرية :

ربما لأنك الطراز الذى يحتاجون إليه بالضبط .. الطراز الذى
يعمل بناء على الأوامر ، ويجيد الحديث واللباقة فحسب ،
ولكنه لا يجرو على خداعهم ، أو الاستيلاء على أموالهم ،
بأية صورة كانت .

صاح به (رشاد) :

- أنت حقير .

هز (إدوارد) كتفيه ، ودس كفيه فى جيبى سرواله ، قائلاً :

- هذا أحد مقومات وظيفتى .

ثم ترك حاجبيه يلتقيان ، وهو يتحرك في المكان ، متابعاً :

- الشيء الوحيد المؤكد الآن ، هو أن (العقرب) يدس أنفه في شئونا ، وهذا يعنى أنه ، ولسبب ما ، يشك في أمرنا ، ويستعد لجولة قريبة معنا ، وهذا نذير بسيل من المتاعب ، لا يمكننا معرفة أو تحديد مداه ، ولا يمكننا أيضاً أن نجلس ، في انتظار قدومها .. لا بد أن نكون أول من يتحرك ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، ارتفع رنين هاتفه المحمول بغتة ، فاخطفه من جيبه في سرعة ، وضغط زر الاتصال ، قائلاً في لهفة :

- من المتحدث ؟!

انعقد حاجباه في شدة ، وهو يستمع إلى محدثه ، قبل أن يسأله في توتر :

- ما الموقف الآن يا (جابر) ؟!

واحتقن وجهه بشدة ، وهو يصرخ :

- ماذا ؟!

انتفض قلب (رشاد) في صدره هلعاً ، وامتقع وجهه بشدة ، وهو يهتف :

- ماذا حدث ؟! ماذا حدث ؟!

ولكن المحامى تجاهله تماماً ، وهو يصرخ عبر الهاتف :

- أغبياء .. حمقى .. ما كان ينبغي أن يحدث هذا أبداً .. قل لهؤلاء الأوغاد أن يبذلوا قصارى جهدهم للعثور عليه .. هل تفهم ؟!

أنهى المحادثة في عصبية زائدة ، فأمسك (رشاد) كتفيه في ذعر ، هاتفاً :

- أخبرنى ماذا حدث بالله عليك ؟!

التفت إليه المحامى بوجه محتقن ، هاتفاً :

- لقد فقدوا أثره ..

تراجع (رشاد) كالمصعوق ، وهو يهتف بصوت مختنئ

.. فقدوا أثره ؟!

لوح المحامى بذراعه ، وهو يقول في عصبية :

- ذلك الشيطان خدعهم ، وتسأل من تحت أنفهم ،
واختفى .. اختفى تماماً .

انتفض جسد (رشاد) كله هذه المرة ، وهو يهتف :

- اختفى؟! يا إلهي!! وماذا سنفعل الآن؟! ماذا سنفعل!؟

أشار إليه المحامي في صرامة عصبية ، قائلاً :

- اصمت يا رجل .. كفّ عن الارتجاف هكذا كالنساء ،
ودعني أحاول التفكير في هدوء .

أمسك به (رشاد) في رعب ، وهو يردد :

- ولكنه سيهاجمنا .. أليس كذلك؟! سينقض علينا بغتة ،

كما فعل مع من قبلنا ، و ...

قاطعه المحامي بصرخة هادرة :

- قلت : اصمت .

ارتجف (رشاد) في رعب ، كطير ذبيح ، وهو يلقي نفسه
على مقعده في انهيار ، في حين راح المحامي يتحرك في
المكان في عصبية ، قائلاً :

- لقد أدرك إذن أننا نراقبه .. بل ربما كان هو من دفعنا
إلى هذا ، ليتبين حقيقة أمرنا .. يا للسخافة ! وأنا وقعت في
الفخ كالغر الساذج ، ولم أتريث لأمنح نفسي مهلة للتفكير ..
يا للغباء ! يا للغباء ! كان ينبغي أن أتمهل ، قبل أن أقدم
على هذه الحماقة .

ضاعف حديثه العصبى من ارتياح (رشاد) ورعبه ،
ولكنه لم ينبس ببنت شفة ، وإنما اكتفى بمراقبة المحامي
بعينين زائغتين ، وهذا الأخير يواصل حديثه مع نفسه ،
قائلاً بكل العصبية :

- ولكن لماذا هرب منهم؟! ما الذى يسعى إليه بالضبط!؟
إلى أين أذهب أنا ، لو كنت فى مكانه!؟

وتوقف بغتة ، وهو يعتصر ذهنه ، بكل ما يمتلك من
قوة وطاقة ، مكملاً :

- أين يمكن أن يكون الآن ؟ أين!؟

نعم أيها المحامي الثعلب ..

أين!؟

أوقفت (عادة) سيارة (نديم) فى حذر ، إلى جوار أكبر
مخازن شركات (رشاد السلباوى) ، وهى تقول فى توتر :

- افتحامك لمخزن (السلباوى) بهذه السرعة ، مغامرة
غير مأمونة العواقب .

ابتسم (نديم) ، وقال ، وهو يرتدى قفازيه السوداوين :

- على العكس يا عزيزتى .. القاعدة التى أثبتت نجاحها
دوماً ، وهى ضرورة طرق الحديد وهو ساخن ..

ثم التقط قناعه من جيبه ، ووضعها على وجهه ، مكملاً :

- هؤلاء الأوغاد تحركوا فور مغادرتى شركتهم ، ولو تأخرنا
نحن فى خطوتنا ، سنمنحهم الوقت لاتخاذ كل التدابير
اللازمة ، لمنعنا من بلوغ أهدافنا .

كانت تشعر بقلق مبهم ، فى هذه الليلة بالذات ، مما
جعلها تسأله :

- وما الذى تتوقع العثور عليه فى المخزن؟! الشحنة التى
تسلمها (السلباوى) اليوم ، تم فحصها جيداً جداً ، بوساطة

ضباط الأمن والجمارك ، وتقريرهم يؤكد أنها سليمة تماماً ،
ولا تحوى أية أشياء ممنوعة .

عقد قناعه جيداً ، وهو يقول :

- ربما لا يمكننى الاقتناع بأن (رشاد السلباوى) يمكن
أن يستورد شحنة من الكتب الثقافية ..

غمغمت فى قلق :

- ربما هى محاولة لتغطية شحنة أخرى قادمة .

هز كتفيه ، قائلاً :

- ربما .

ثم غادر السيارة ، مستطرداً فى حزم :

- وهذا ما على (العقرب) أن يكشفه .

ارتجفت شفتاها ، وهى تقول :

- انتبه جيداً الليلة .

ابتسم ، وهو يشير إليها ، مجيباً :

- وأنت .. لا تغادري السيارة أبداً .



أما هو ، فقد تسلق أحد الأعمدة الخشبية الملاصقة لجدار المخزن ، في سرعة ورشاقة ، قبل أن يثب على سطحه في خفة ، ثم يتجمد في مكانه ..

غمغت :

- سأحاول .

أشار إليها بيده مرة أخرى ، وهو يتجه نحو المخزن في خفة ، ثم سرعان ما تلاشى وسط الظلام ..

وفي توتر لا مثيل له ، ارتجف قلبها بين ضلوعها ، وعقلها يتساءل : لماذا تشعر بكل هذا القلق الليلة !؟

لماذا !؟

أما هو ، فقد تسلق أحد الأعمدة الخشبية الملاصقة لجدار المخزن ، في سرعة ورشاقة ، قبل أن يثب على سطحه في خفة ، ثم يتجمد في مكانه ، وعيناه تدوران فيما حوله في حذر ..

لا حراسة على السطح ..

نقطة في صالح (رشاد) ، وتوحى بأن الشحنة لا تحوى ما يمكن أن يخشى ضياعه أو كشفه ..

ولكن كتب ثقافية !؟

لا ..

ليس هذا الطراز من البشر ..

هناك شيء ما يختفى حتماً ، وراء تلك الشحنة الثقافية ..
ودون أدنى شك ..

جمد في مكانه لدقيقتين كاملتين ، ثم عاد يتحرك بمنتهى
الخفة بحثاً عن مدخل إلى المخزن ..
وكان الأمر أسهل مما تصوّر ..

لقد عثر على نافذة علوية ، غير مغلقة ، ولا يحيط بها أى
حرّاس ..

وبمرونته المعهودة ، ربط طرف الحبل الذى يحمله ، فى
إطار النافذة المعدنى ، ثم تلى بوساطته إلى داخل المخزن ..
كان المكان غارقاً فى ظلام دامس ، فيما عدا الضوء الخافت ،
المتسلل من النوافذ ، والذى يحمل لمحة من ضياء القمر ..
ولكنه لم يشعل مصباحه اليدوى ..

فقط توقّف فى مكانه صامتاً ساكناً ، حتى اعتادت عيناه ذلك
الضوء الخافت ، ثم عاد يتحرك فى خفة ..

كان المخزن ضخماً ، يحتل ما يزيد على ألفى متر ، توزعت
فيها صناديق البضائع على نحو متناثر غير منظم ، لا يتفق
مع شركة ضخمة شهيرة ، مثل شركة (السلباوى) ..

ولكن (العقرب) كان يبحث عن شحنة بعينها ..

تلك الشحنة التى وصلت ظهر اليوم ، والتى لم يتم فرزها
والتعامل معها بعد ..

ولقد عثر عليها ، فى الركن الشمالى من المخزن ..

ما يقرب من ثلاثمائة صندوق من الكرتون المقوى ، محاطة
بإحكام ، بأشرطة معدنية رفيعة ، تضمن قوتها وتماسكها ،
وهى مترابطة بعضها فوق البعض ، فى عشرة صفوف
متجاورة ..

وفى رشاقة وسرعة ، تسلق العقرب ذلك الهرم من
الصناديق ، ثم أخرج مطواته السويسرية ، وراح يعالج أحد
الصناديق ، حتى فتحه ، والتقط من داخله أحد الكتب ،
وراح يتأمله فى اهتمام ، على الضوء الخافت ..

إنها كتب ثقافية بالفعل ..

موسوعات بالغة الأناقة ، ذات غلاف أحمر زاه من الجلد
الطبيعى ، المزدان بنقوش ذهبية ، منحته فخامة تفوق
المعتاد ..

ترى أهذا كل ما تحويه الشحنة !؟

فحص الكتاب عدة مرات ، فى اهتمام بالغ ، ثم لم يلبث أن دسّه فى قميصه ، مغممًا :

- الأمر يحتاج إلى فحص أكثر دقة .

لم يكذ ينطقها ، حتى اشتعلت أضواء المخزن بغتة ..

وعلى الرغم من التوتر الشديد ، الذى سرى فى كل ذرة من كيانه ، إلا أنه ثبت فى مكانه تمامًا ، وقد بهر الضوء المباغت عينيه ، وأجبره على إغلاقهما ، و

« كنت واثقًا من أننى سأجدك هنا .. »

اخترقت العبارة الساخرة الشامتة أذنيه ، ففتح عينيه فى حركة سريعة ، وحدّق فى ذلك المشهد أمامه ..

فهناك ، وعند كومة أخرى مجاورة من الصناديق ، كان يقف (إدوارد) ، محامى (رشاد السلباوى) ، وحوله أربعة من رجال الأمن الأقوياء ، وهو يتابع فى ثقة :

- يبدو أننى نجحت فى قراءة أفكارك هذه المرة ، أيها (العقرب) .

كان الموقف عسيرًا وشديد الحساسية بالفعل ، إلا أن (العقرب) تماسك فى سرعة ، وهو يقول :

- عظيم .. والآن وبعد أن قرأت أفكارى ، وعثرت علىّ هنا ، ماذا تنوى أن تفعل؟! هل ستقتلنى بحجة أننى دخلت مخزن رئيسك خلسة؟!!

ارتفع حاجبا المحامى ، فى دهشة مصطنعة ، وهو يقول :

- أفتلك؟! يا لها من فكرة!

ثم عادت أساريره تتبسط ، فى ثقة شامتة ، وهو يضيف :

- خطأ أيها (العقرب) .. خطأ .. أنا رجل قانون ، وكل ما أفعله قانونى مائة فى المائة .. لقد شككت فى أنك تنوى سرقة مخازننا ، واتخذت الإجراء القانونى تمامًا .

« هذا صحيح .. »

جاءت العبارة الأخيرة ، من خلف مجموعة الصناديق المجاورة ، وعلى إثرها اندفع فريق من رجال الشرطة ، من كل صوب ، وصوبوا مدافعهم الآلية إلى (العقرب) ، ثم لحقهم صاحب العبارة ، وعيناه تتألقان فى ظفر ، وهو يتابع :

- ولقد كانت فرصة لا يمكن أن أضيعها ، لألتقى بك وجهًا لوجه على الأقل .

وانعقد حاجبا (العقرب) فى شدة ..

فذلك القادم ، كان آخر شخص يتمنى رؤيته ، في مثل هذه الظروف ..

لقد كان عدوه الأول ، في صفوف الشرطة ، والرجل الذي اعتبر أن هدفه الأساسي في الحياة هو الإيقاع بـ (العقرب) ..

كان (مجدى) ..

العقيد (مجدى) ..

تابع الأحداث ، في الكتاب القادم

من سلسلة كوكتيل ٢٠٠٠



(دراسة)

حدث في (روزويل)

أخيراً انتهت الحرب العالمية الثانية ، ووضعت أوزارها نهائياً ، مخلفة وراءها دماراً لم يشهده العالم في تاريخه كله ، وبخاصة بعدما تم محو مدينتي ياباتييتين كاملتين من الوجود ، (هيروشيما) و (ناجازاكي) ، بقنبلتين ذريتين ، أذهلتا العالم كله ، وأصابناه برعب لامحدود ، وجعلتنا يتطلع إلى المستقبل بنظرة خائفة متشائمة ..

وبدأ العالم مرحلة جديدة ..

(أوروبا) و(آسيا) انشغلنا في مرحلة إعادة البناء ، بعد اقتسام وتوزيع الأسرى والغنائم ، و(إفريقيا) راحت تلتقط أنفاسها أخيراً ، بعد أن تورطت طويلاً في حرب طاحنة ، لم يكن لها ناقة فيها ولا جمل ..

أما (أمريكا) ، فقد انتفخت أوداجها ، وانتفش ريشها ، وراحت تستعرض قوتها الجديدة ، في مهرجانات واحتفالات مبهرة عديدة ..

ودارت الأيام دورتها ..

وهدأت الأمور كلها ..

ولكن (أمريكا) بدأت تتعامل باعتبارها القوة الأعظم في العالم ، بما تملكه من أسلحة ذرية ونووية ، لا يملكها غيرها ، وبدأت تتصور أنه ما من قوة في الوجود يمكنها أن تفت في عضدها ..

وبعد عامين تقريباً ، وفي منتصف نهار الثلاثاء ٢٤ يونيو ١٩٤٧م ، كان رجل الأعمال الأمريكي الشاب (كينيث أرنولد) يقود طائرته ذات المحركين ، في سماء صافية ، خالية من الغيوم تماماً ، وطقس مثالي للطيران ، في منطقة جبل راينر

(Rainier) وسط ولاية (واشنطن) ، محلّقاً حول القمة المتجمّدة لبركان (مايتي) الخامد ، وهو هادئ النفس ، صافى الذهن ، لا يشغله شيء في الوجود سوى العثور على طائرة نقل أمريكية عسكرية مفقودة في المنطقة ، على أمل الفوز بجائزة قدرها خمسة آلاف دولار ، أعلنت عنها القوات الجوية الأمريكية ، لمن يعثر على الطائرة أو حطامها ، بعد أن اختفت تماماً هناك ، وعلى نحو غامض للغاية ..

ولقد انهمك (كينيث) تماماً في عملية البحث ، بسبب جودة الطقس ، و ..

وفجأة ، انعكس ضوء الشمس على وجهه ، من مصدر ما .. وبسرعة ، استعاد الأمريكي انتباهه على القيادة ، ظاناً أن الشمس قد انعكست عن جسم طائرة أخرى ، تتخذ مساراً يتعارض مع مسار طائرته ..

ولكن كل شيء كان هادئاً تماماً ..

وعلى مدى بصره ، لم تكن هناك أية طائرة تحلق ، في المدى الذي يمكن أن تنعكس عنده أشعة الشمس ..

ولكن هناك ، في أقصى الأفق ، لمح (كينيث أرنولد) شيئاً يتحرك ..

لم يبد له أشبه بأية طائرات معروفة بل بدا كأقراص منفصلة تطير بلا رابط ، في اتجاهه تقريباً ..

كان ما رآه يبعد - وفقاً لتقديره - ما يقرب من ألف ميل ، حتى إنه لولا السماء الصافية ، لما أمكنه حتى ملاحظته ، لذا فقد عزا ذلك الانعكاس إلى شيء آخر حتماً ، وقرّر أن يتجاهل كل هذا ، وأن يعود إلى عملية البحث عن حطام الطائرة العسكرية ..

ولكن تلك الأجسام كانت تتحرك بسرعة مذهلة بحق .. فلم تمض لحظات ، حتى كانت على مسافة ثلاثمائة ميل منه فحسب ..

ولقد بدا له - عندئذ - أنها تتجه نحوه مباشرة ..

ولقد كان على حق في كل ما تصوّره ..

تلك الأجسام كانت تتجه نحوه مباشرة .. وبأقصى سرعة رآها في حياته كلها ..

ومن مسافة قريبة بما يكفي رأى (كينيث) تلك الأجسام مباشرة ، ووصف ما رآه فيما بعد ، قائلاً :

- لم تكن هناك أية بروجات واضحة .. لا مقدّمة ، أو ذيل ، أو أجنحة ، فقط أسطوانات دائرية تماماً ، ولامعة إلى حد مذهش ، حتى إنها تعكس أشعة الشمس ، من مسافات بعيدة ، وكانت عبارة عن تسعة أجسام ، تطير في صف واحد ، كطابور عسكري ، وأسلوبها في الطيران كان عجيباً للغاية إذ بدت أشبه بأطباق تطير ، عندما نلقها على سطح بحيرة هادئة ..

ومن عبارته الأخيرة بالتحديد ، التقط أحد الصحفيين المحليين مصطلح (الأطباق الطائرة) ، الذي عُرفت به تلك الأجسام مجهولة الهوية ، على النطاق الشعبي ، حتى يومنا هذا ..

وعندما تم نشر واقعة (كينيث) ، على نطاق واسع ، في الأسبوع التالي مباشرة ، كانت ردود الأفعال واسعة ومتباينة للغاية ، فقد استقبلها المجتمع الأمريكي بما يشبه الصدمة ..

فجأة ، وبعد أن خرج الأمريكيون من الحرب ظافرين منتصرين ، يظنون أنهم القوة العظمى ، تأتي واقعة كهذه ، لتشير إلى أن البشر ليسوا وحدهم في الكون ، بل هناك

مخلوقات عاقلة أخرى ، تمتلك تكنولوجيا أكثر تفوقًا ،
جاءت تستعرض قوتها في سماتهم ..

وعلى قدر ما صنعَ البعض بالخبر ، رفضه البعض الآخر
في شدة ، بل واستنكره تمامًا ، من منطلق الخوف ،
أو عدم التصديق ، أو حتى الغرور البشري ، الذي يرفض
وجود قوة أخرى متفوقة سواه ..

أما الجهات الرسمية العسكرية ، فقد لانت بالصمت تمامًا
وأنه كانت لديها شهادة أخرى ، لم تحظ بالترويج الإعلامي
المماثل ، ولكنها توافقت مع شهادة (كينيث أرنولد) ، على
نحو يثير القلق والحيرة ..

فلقد أبلغ أحد الباحثين عن الذهب ، في (أوريجون) ، أنه
قد شاهد تسعة أجسام مستديرة لامعة ، تقطع السماء بسرعة
مذهلة ، وأن البوصلة التي يحملها قد أصابها الجنون ، في
لحظة العبور هذه ..

الرجل ألقى بشهادته في الثلاثة وتسع دقائق ، في حين قرَّر
(كينيث أرنولد) في تقريره أن تلك الأجسام التسعة عبرت
إلى جواره ، في الثانية وتسع وخمسين دقيقة بالتحديد ..

إن فالباحث عن الذهب لم يكن يعرف شيئًا عما رآه رجل
الأعمال الشاب ، عندما أبلغ عما رآه هو ..

ثم إن التقرير الرسمي ، الذي قدّمه خبراء الطيران ، والذي
لم يُنشر إلا في أواخر الثمانينات ، كان يستأجل في نهايته :
لماذا يدعى رجل أعمال محترم وملتزم ، مثل (كينيث
أرنولد) ، بأنه قد رأى تلك الأجسام الطائرة ، ما لم يكن قد
رآها بالفعل !؟

ولكن ، وعلى الرغم من الموقنين ، الصحفي والرسمي ،
فقد أصابت الولايات المتحدة الأمريكية بغتة حمى غريبة ..
حمى الأطباق الطائرة ..

أكثر من ثمانمائة وخمسين بلاغًا عن رؤية الأطباق
الطائرة ، تلقّتها الدوائر الأمريكية ، على طول الولايات
المتحدة وعرضها ..

الكل رأى ، وشاهد ، والتقط الصور أيضًا ..

وفي أوّل يوليو ١٩٤٧م ، جاءت شهادة شخص محترم
ومرموق للغاية ، ألا وهو (ماكس هود) ، رئيس الغرفة
التجارية في (بوكريك) ، الذي أعلن مشاهدته لطبق طائر ،
يسير في خط متعرج عبر السماء ..

وفي الليلة نفسها ، وفي تمام الحادية عشرة ، اتصل رئيس الشرطة العسكرية (أدوين آزلى) بمسئول المخابرات في المدينة (جيس مارسيل) ، وهو يهتف في انفعال شديد :

- احضر بأقصى سرعة .. لن يمكنك أن تصدق ما نراه هنا .

ولقد انطلق إليه (جيس) على الفور ، وبينما كان في طريقه ، شاهد في السماء تشكيلاً مضيئاً ، على شكل حرف (V) ، ينطلق نحو الجنوب ، فغمغم في توتر :

- ما هذا بالضبط؟! طائراتنا لا يمكنها الطيران بهذه السرعة .

وأيدت هذه القصة فكرة وجود الأطباق الطائرة ، وإن عاد الماجور (جيس) نفسه يكذبها ، على نحو يوحى بأنه قد تلقى أوامر رسمية بهذا ..

وفي صباح السابع من يوليو ١٩٤٧م وفي مدينة (روزويل) الصغيرة ، في ولاية (نيو مكسيكو) ، وعلى مسافة مائتى ميل من قاعدة طيران عسكرية ، التقط (ويليام رودز) ، البائع البسيط ، أول صور في التاريخ للأطباق الطائرة ، وهو في طريقه إلى عمله ..

ولقد قام (ويليام) بتحريض الفيلم وطبعه ، في اليوم نفسه ، ليسلمه إلى الصحيفة المحلية ، وهو يمتنى نفسه بأن يكون هذا الخبر هو قبلة الصحيفة في اليوم التالي ، وأهم أخبارها ، و

ولكن أحدًا لم يتصور قط أن خبر (ويليام رودز) لن يساوى شيئاً في صحيفة اليوم التالي ؛ لأن (روزويل) كلها كانت تنتظر مفاجأة ..

مفاجأة لا تخطر على بال أحد من سكانها ..

قط .

في تمام الرابعة عصرًا ، وفي محطة الراديو المحلية بمدينة (البوكريك) بولاية (نيومكسيكو) الأمريكية ، يوم ٧ يوليو ١٩٤٧م ، كانت موظفة المحطة (ليديا سلبى) تجلس هادئة كعادتها ، تتجز بعض الأعمال الإدارية المتأخرة ، عندما ارتفع رنين الهاتف فجأة ، على نحو أزعجها ، وانتزعها من تركيزها في عنف ..

ولأن ميزانية المحطة محدودة ، كانت (ليديا) تقوم ،

إلى جوار أعمالها الإدارية ، بوظيفة عاملة الهاتف ،
ومسئولة إرسال التيلكس أيضاً ، لذا فقد التقطت سماعة
الهاتف ، وسألت عن المتحدث ، الذي لم يكن سوى
(جوني ماك بويل) ، الذي يمتلك مع أخته محطة إذاعية
صغيرة في (روزويل) ..

ولما لم يكن (جوني) يمتلك جهاز تلكس ، فقد اعتاد
الاتصال بمحطة (ليديا) ، كلما كانت لديه أخبار مهمة ،
لتقوم هي ببثها إلى المحطات الكبرى ، عبر جهاز التلكس ،
لذا فقد استقبلت هي الأمر في بساطة ، ولكنها فوجئت به
يصرخ ، في انفعال شديد :

- (ليديا) .. اسمعيني جيداً .. لقد سقط طبق طائر ،
بالقرب من (روزويل) .. لقد كنت هناك ، وشاهدته بنفسى ..
إنه أشبه بطبق ضخم مقلوب ، تحطم جزء في طرفه .. بعض
المزارعين هناك أيضاً ، وأحدهم حاول أن يجذبه بالجرار إلى
جرنه ، ولكن الجيش وصل إلى هناك .. يبدو أنهم يسعون
للحصول عليه .. المنطقة كلها مغلقة ..

ثم توقفت لحظة ؛ ليلتقط أنفاسه ، قبل أن يعاود الصراخ
لاهنأ :

- (ليديا) .. هل تبثين ما أخبرك به !؟

كانت - بحكم خبرتها - تضرب أزرار التلكس تلقائياً ،
بكل ما تسمعه منه ، كما يحدث في كل مرة ، فهتفت ، وقد
انتقل إليها الانفعال :

- بالتأكيد .. أكمل ..

تابع هو ، بكل الانفعال واللهفة :

- إنهم يتحدثون عن رجال صغار .. سجلى هذا .. رجال
صغار داخل ذلك الطبق .. الجيش ينتشل جثثهم من داخله ..
هناك جثتان على الأقل .

سألته (ليديا) باتفعال مماثل ، وهي تواصل البث :

- هل رأيتهما بنفسك !؟

كانت تتوقع منه ردًا فوريًا سريعًا ، مفعماً بالانفعال ،
إلا أن ما سمعته ، على الجانب الآخر للخط الهاتفى ، لم
يكن سوى ضوضاء غير مميزة ، وهتاف يأتى من بعيد ،
وأصوات ارتطام وشجار ..

وفى اللحظة نفسها ، توقفت جهاز التلكس عن البث ، ثم
استقبل رسالة محدودة ، راحت تتكرر في سرعة على نحو
محموم :

- أوقفى الاتصال فوراً .. لا تواصلى البث .

وبينما هي تحدق في الرسالة بدهشة قلقة ، فوجئت بصوت (جونى) ، يأتيها عبر الهاتف ، بانفعال أكثر شدة ، وهو يهتف :

- لا تبثى ما أبلغتك به يا (ليديا) .. امحى كل شىء فوراً .. لا تبثى ما أخبرتك به ، وحاولى نسيان كل ما سمعته .. هل تفهمين !؟

قالها ، وأنهى الاتصال بحدة لم تعهد لها منه ، وعلى نحو جعلها تتساعل ، بكل ما اعتمل فى نفسها من اضطراب :

- ترى ما الذى حدث حقاً فى (روزويل) !؟

ولم يكن هذا سؤالها وحدها ، بل هو السؤال الذى ظلّ يتردد فى كل الأوساط ، حتى يومنا هذا ..

السؤال الذى أجابته جريدة (روزويل) المحلية ، عندما نشرت فى رأس صفحتها الأولى ، فى صباح الثامن من يوليو تقول : طبق طائر سقط فى (روزويل) ..

ولولا ما نشرته الصحيفة ، التى تتمتع كغيرها بحرية

الصحافة فى (أمريكا) ، فربما لم يكن هناك من سمع قط عن واقعة (روزويل) هذه ..

ففى السادسة من صباح ٨ يوليو هذا ، حمل ماجور (مارسيل) وكابتن (كافيت) إلى رئيسهما ، فى القاعدة الجوية ، قطعة معدنية ، طولها قدم واحد ، وعرضها ستة بوصات ، وأخبراه أنها جزء من حطام الطبق ، الذى سقط بالقرب من (روزويل) (نيومكسيكو) ..

ولقد كانت تلك القطعة المعدنية عجيبة للغاية ، بالنسبة لكل من رآها ..

فعلى الرغم من خفة وزنها الشديدة ، التى لا تتناسب قط مع حجمها ، كانت القطعة صلبة إلى حد مدهش ، حتى إن الماجور (مارسيل) ، المعروف بقوته ، قد عجز تماماً عن أن يثنيها ، على الرغم من كل محاولاته ..

ولقد تحدثت الرجال الثلاثة بعض الوقت عما حدث ، ثم لم يلبث الرئيس أن حسم الحديث بقوله :

- هذا الشىء يدهشنى بحق ، وخاصة مع ملمسه ، الذى يجمع بين المعدن والبلاستيك ، والذى لم أعهد مثله قط

من قبل ، إلا أن الأوامر ، التي تلقيتها هذا الصباح ، صريحة وصارمة للغاية .

ثم شدّ قامته ، مضيقاً :

- سنغلق الحديث في هذا الأمر ، وننساه تماماً ، وكأنه لم يكن أبداً .. مفهوم .

ولم يكن أمام الرجلين سوى الموافقة ، وتسليم القطعة المعدنية مجهولة الهوية إلى رئيسهما ، وإغلاق فميهما طويلاً .. ولكن ليس إلى الأبد ..

ففي عام ١٩٩٤م ، روى الكابتن (كافيت) القصة بتفاصيلها لمحرر جريدة (واشنطن بوست) ، التي أولت الأمر - آنذاك - اهتماماً كبيراً ..

وفي (روزويل) نفسها ، وبعد ما نشرته صحيفتها المحلية ، توافد الآلاف ، من مختلف الولايات ، لإلقاء نظرة على موقع السقوط ، وسماع روايات السكان المحليين ، على الرغم من أن الجيش قد نقل كل شيء بعيداً ..

وفي الخامس عشر من يوليو ، أي بعد سبعة أيام كاملة ، أصدرت قيادة الجيش الأمريكي بياناً ، قالت فيه : إن ما سقط في (روزويل) لم يكن سوى منطاد طقسى فحسب ..

وكان هذا مسار سخريّة الكل ..

قلو أن الأمر كله يتعلّق بمنطاد طقس واختبارات ، لماذا انتظرت قيادة الجيش أسبوعاً كاملاً لتصرّح بهذا !؟

بل ولماذا أغلقت المنطقة كلها حينذاك !؟

ولم يصدّق أحد ما أعلنه الجيش ، حتى أولئك الذين لا يؤمنون بوجود حياة عاقلة أخرى في الكون ..

واستمرّ الناس يتحدّثون عن (روزويل) ..

ويتساءلون ..

ويدرسون ..

مئات الدراسات خرجت ، لتفسير ما حدث في (روزويل) ، وما صحبه من تحركات عسكرية وسرية ..

ومع مرور الوقت ، بدأت بعض الحقائق تتكشف رويداً رويداً ..

وفي عام ١٩٨٠م ، أصدر (تشارلز بيرلتر) كتابه الشهير (واقعة روزويل) ، الذي جمع فيه كل الحقائق والاستنتاجات ، حول ما حدث في تلك البلدة الصغيرة ، في ولاية (نيومكسيكو) ..

ولأول مرة ، بعد سنوات طوال ، أشار (بيرلتر) إلى الجثث ، التي تم العثور عليها ، داخل ذلك الطبق الطائر ، عام ١٩٤٧م .

ولأول مرة أيضا ، اتهم (بيرلتر) الحكومة الأمريكية بأنها تخفي جثتي اثنين من ملاحى الطبق الفضائيين ، وتخفي معهما حقيقة وجود مخلوقات في كواكب أخرى ، عن الشعب الأمريكى والعالم أجمع ..

ولم ترد الحكومة على اتهامات (بيرلتر) ، على الرغم مما لقيته من أصداء واسعة ، على كل المستويات ..

وربما كان هذا ما زاد الأمر غموضا ، وضاعف من عدد مصدقيه ، على مر السنين ..

التجاهل التام للحكومة الأمريكية ، فى كل ما يتعلّق بحادثة (روزويل) ..

فعلى الرغم من أن الحكومة قد أنشأت فى الستينات لجنة

(الكتاب الأزرق) ، المسنولة عن التحقيق فى كل بلاغات ومشاهدات الأطباق الطائرة ، والتي انتهت باحتمال وجود ظاهرة تفوق إيراك البشر ، إلا أن نفس الحكومة ظلّت تتجاهل تماما ، دون أى تبرير ، أية إشارة إلى واقعة (روزويل) ..

وحطم كتاب (بيرلتر) كل الأرقام القياسية فى التوزيع ، وبيعت منه ملايين النسخ ، وردّد الملايين ما قاله فيه ، عن وجود منطقة تحمل رقم ٥١ (Area 51) ، بين المناطق العسكرية السرية الأمريكية ، يحتفظ فيها العلماء بجثتى المخلوقين الفضائيين ، اللذين تم تشريحهما منذ ما يزيد على الثلاثين عاما .

ولكن الحكومة الأمريكية ظلّت تتجاهل .. وتتجاهل ..

إلى أن ظهر إلى الوجود فجأة دليل قوى ، على صحة ما حدث فى (روزويل) ..

دليل لا يقبل الشك ..

أبدا ..

فى أكتوبر عام ١٩٩٤م ، نشرت مجلة (أومنى) (OMNI) العلمية نداءً إلى كل قرائها ، تتأشدهم إرسال مطلب إلى

الحكومة الأمريكية ، لكشف كل ما تخفيه من أسرار ، حول واقعة (روزويل) الشهيرة ..

وانهالت بالفعل ملايين المطالب على الحكومة الأمريكية ، التي أصرت مواصلة رد فعلها الاستفزازي الشهير ، ألا وهو التجاهل التام للموقف ..

ولكن فجأة ظهر الدليل ..

فيلم سينمائي ، من طراز المليمترات الثمانية قديم الطراز ، كان يخفيه طيار سابق ، منذ ما يقرب من خمسين عامًا ، ثم قرّر فجأة أن يعلنه ، قبل أن يباغته الموت ..

وكان الفيلم قبلة بحق ..

إنه فيلم كامل ، يحوى تفاصيل مذهلة ، لعملية تشريح كاملة ودقيقة ، لكائن فضائي غير بشري ، تمت عقب سقوط ذلك الطبق الطائر في (روزويل) ..

وكانت صدمة عنيفة بحق ..

وكرر فعل طبيعي ، لعالم بلغت قدراته الإعلامية والاتصالية حدًا مذهلًا ، أذاعت معظم محطات التلفزيون الفيلم كاملاً ، وأنتجت عشرات البرامج حول صحته ومصداقيته ، وعمّا إذا كان ما به حقيقة أم مجرد وهم وخداع ..

وجاءت آراء الخبراء مذهلة ..

خبير في التصوير السينمائي أكد أن الفيلم تعود مآلته الخام إلى فترة الأربعينات بالفعل ، وأن النسخة التي لديه تم تصويرها ما بين عامي ١٩٤٦م ، و ١٩٤٨م ، وقدم بهذا شهادة موثقة ، بعد أن فحص الفيلم ميكروسكوبياً أيضاً ..

خبراء الخدع السينمائية في (هوليوود) أعلنوا أنه من المستحيل أن يكون هذا الفيلم مجرد خدعة سينمائية ، لأنه ما من خبير ، في العالم أجمع ، يمكنه اصطناع الأسجة والخلايا على هذا النحو المذهل ..

بل وأعلنوا أنه لو كان هذا الفيلم خدعة ، فإتهم على أنهم الاستعداد لتعيين صانعه مديراً لكل استديوهات الخدع السينمائية ، بأجر قد يحمل سبعة أصفار وليس ستة ..

وعندما حان دور الطب الشرعي ، كان الأمر مبهرًا ..

الدكتور (كيرل ويشت) ، كبير الأطباء الشرعيين ، في مركز (سان فرانسوا) الطبي ، أكد أمام ملايين المشاهدين ، في بث مباشر ، أنه لم يشاهد في حياته كلها ، وعلى الرغم من خبراته الواسعة ، كائنًا يشبه هذا ، حتى بين الأجناس غير الأمريكية ..

أما من ناحية ما يحدث في الفيلم ، فقد أصرّ الرجل على

أنها عملية تشريح سليمة تمامًا ، وأن من يقومون بها خبراء حقيقيون ، يؤدون عملاً مبهراً ..

وفي الوقت نفسه ، علّق الدكتور (ويشت) على تركيب جسم الكائن ، بأنه يختلف إلى حد كبير عن الأجساد البشرية ، حيث يحوى ستة أصابع في كل يد وكل قدم ، وجفناً إضافياً لكل عين ، يشبه ذلك الموجود عند الطيور ، كما أن الرئة عبارة عن ثلاث أسطوانات متساوية الحجم ، بالإضافة إلى عدم وجود أية أعضاء تناسلية واضحة ..



وكل هذا ، من وجهة نظر الدكتور (كيرل ويشت) لا يمكن أن يتواجد في كائن حي ، من أية جنسية كانت ، بل ولا حتى في أية حيوانات معروفة ..

أما خبير الأنسجة والطب الشرعى (س . م . ميلرون) ، فقد أكد أنه لا يشك لحظة في أن ما يراه على الشاشة حقيقى ، إذ إنه ، وعلى الرغم من عدم بشريته ، يتناسق تماماً مع بعضه البعض ، على نحو لا يمكن أن يدركه ، أو يصطنعه ، إلا خبير ..

وعلى الرغم من كل هذا ، ظهر من يرفضون تماماً تصديق الفيلم ..

وتصديق قصة (روزويل) كلها ..

وخرجت عشرات الاعتراضات ، التى تناقش نوع سلك الهاتف في الفيلم ، وطراز حامل أدوات التشريح ، وغيرها ، وتدعى أنها تعود كلها إلى زمن يلى الزمن ، الذى يفترض تصوير الفيلم فيه ..

كل هذا والحكومة الأمريكية تتجاهل الأمر تماماً كعادتها ..

وفي عام ١٩٩٦م ، حصلت شركة (فيدماك) على حقوق طبع وتوزيع ذلك الفيلم ، مع البرنامج الذى يناقش صحته ، وطرحته في الأسواق تحت عنوان (تشريح كائن فضائى -

حقيقة أم خدعة) (Alien Autopsy - fact or fiction)
وأصبح متداولاً ، حتى عبر شبكة الإنترنت .

ولكن يبدو أن تصديق أو عدم تصديق صحة وجود الكائنات
الفضائية العاقلة ، هو أمر يرتبط بطبيعة الإنسان ، أو ربما
بجيناته الوراثية ..

فعلى الرغم من كل هذا ، مازال هناك من يرفض تصديق
فكرة وجود أى مخلوقات عاقلة فى الكون بخلاف البشر ،
مهما كانت المبررات ..

بل إنهم يرفضون حتى مناقشة الفكرة ..

ربما لأن الحكومات ، حتى الحكومة الأمريكية ، ما زالت
ترفض الاعتراف بما حدث فى (روزويل) ، أو حتى بحدوثه
من الأصل ..

كل ما فعلته الحكومة الأمريكية ، وما قدمته وزارة دفاعها ،
وقيادة قواتها الجوية ، بعد أن انتشر الفيلم ، وانتشر الاعتراض
على صمتها وتجاهلها ، هو أن خرجت فى نهاية عام ١٩٩٧م
ببيان مضحك ، أعلنت فى نهايته أن هذا يغلّق باب المناقشة
نهائياً ، فى قضية (روزويل) ..

قال بيان القوات الجوية ، الذى يؤكد أنه يذبح سرّاً عسكرياً
لأوّل مرة ، أن ما سقط فى (روزويل) ، فى السابع من يوليو
١٩٤٧م ، لم يكن سوى طائرة اختبار سرية ، كانت تحمل
بعض الدمى ، المفترض أن يتم اختبار هبوطها اضطرارياً ،
إلا أن خلافاً ما أدى إلى سقوط الطائرة ، وما تحمله من دمى ،
على نحو جعل الكل يتصور ، وفقاً لهوس الأطباء الطائرة ،
الذى ساد فى تلك الآونة ، أن ما سقط ليس سوى طبق طائر ،
والدمى داخله هى مخلوقات فضائية غريبة ..

ومع البيان ، نشرت القوات الجوية صوراً لأشياء مستديرة ،
لها مراوح أشبه بمراوح الهليكوبتر ، ودمى خشبية هزلية ،
لا يمكن أن يخطئ طفل تمييزها ، باعتبار أن هذا ما سقط
فى (روزويل) ..

وكانت مهزلة بكل المقاييس ..

فالبيان تافه وساذج إلى حد مدهش ، يستحيل تصديقه ،
ويوحى بأن كاتبه شخص عسكري محض ، لا علاقة له
من قريب أو بعيد بالعلم أو الأدب ..

ثم إن البيان خضع بدوره لتحليل الخبراء ، الذين طرحوا
عدة أسئلة جديدة ..

أكان من الضروري أن تنتظر القوات الجوية خمسين عاماً كاملة ، قبل أن تصرّح بأمر كهذا ، بعد التطور المذهل في الطائرات والمقاتلات ، والذي أصبح تلك الطائرة السرية بالنسبة إليه أشبه بإطار تالف؟! ولماذا خرج البيان بعد أن ظهر الفيلم ، وانتشر في الأسواق؟!!

لماذا لم يخرج من قبل؟!!

السؤال الأكثر أهمية هو : كيف يمكن أن يفسّر البيان ذلك الفيلم ، الذي أجمع كل الخبراء على أنه حقيقي ، وتم تصويره عام ١٩٤٧م بالفعل؟!!

كان من الواضح أنها محاولة سانحة ، من وزارة الدفاع الأمريكية ، لتميع الأمر كله ، واللعب على عقول العامة ، الذين رفضوا تصديق البيان الجديد ، كما رفضوا تصديق البيان القديم ، منذ نصف قرن ..

ولكن من المؤكد أنه نجح في تفجير القضية من جديد ..

بل وطرح قضية جديدة ..

لماذا تصرّ الحكومات دوماً على إخفاء اتصالاتها بكائنات العوالم الأخرى؟!!

الجواب الذي يتردد دوماً ، هو أن الحكومات تحاول إخفاء أية أدلة ، على وجود كائنات عاقلة في كواكب أخرى ، نجحت في الوصول إلى أرضنا ، حتى لا تصيب شعوبها بالرعب ، عندما تخشى أن تأتي هذه الكائنات محاربة أو محتلة يوماً ..

ولكن للدكتور (كارل ساجان) رأى آخر قد يهكم جداً ..

إنه يقول : إن التكنولوجيا ، التي حصلت عليها (أمريكا) من طبق (روزويل) ، كان لها فضل كبير ، في تطور التكنولوجيا والصناعات الأمريكية فيما بعد ، لذا فهي تخفي أمر طبق (روزويل) حفاظاً على هيبتها ، وتجنباً لمطالبة دول أخرى بحققها في معرفة تلك التكنولوجيا ، والاستفادة منها ..

ورأى (ساجان) وجيه بحق ، فلو أن واقعة (روزويل) صحيحة ، فمن المؤكد أن تكنولوجيا طبق طائر متطور إلى هذا الحد ، ستقفز بأية دولة إلى موقع جديد ، لا ينافسها فيه أحد ..

وهذا ما تسعى إليه أمريكا دوماً ..

التفوق ..

والانفراد ..

ولكن أيًا كانت الحقائق ، فالشيء الذي لا يقبل الجدل هو أنه قد حدث أمر غامض وعجيب ومثير ، منذ ما يزيد على نصف قرن ، وما زال صدها يدوى حتى الآن ..

حدث هناك ..

في (روزويل) .

روايات مصرية الجيب

كوكبي
١٩٥٠

مذكرات طبيب

في صعيد مصر الجواني

• الحلقة الخامسة •



المؤسسة العربية الحديثة
مصر

وقبل أن يصيبكم الذعر والفرع ، دعونى أذكركم بأن
هذا أمرًا عادىً للغاية فى حضان جبل الصعيد ، والناس
تتعایش معه باستسلام تام ، وتقبل عجب ، بل ويتخذ
البعض لعبة أيضًا ..

نعم .. لعبة .. إنك لم تخطئ قراءة الكلمة ..

ودعنى أرو لك قصتين سمعتهما بأذنى هناك ، لتدرك
ما أعنيه ..

فذات يوم ، وبينما كان صديقى العزيز الدكتور (محمد
حجازى) فى زيارتى ، فى الوحدة الصحية فى حضان الجبل
(وهذا ليس تشكيكاً فى قواه العقلية) ، سأل أحد الإخوة
الصعيدة ، فى مجلس هادئ ، عن العقارب التى تنتشر
فى جبال الصعيد ، وقال : إنه لم ير عقرباً واحداً ، منذ
وصل إلى ..

وببساطة شديدة ، انحنى أحدهم يرفع حجراً ، تحت
قدم الدكتور (حجازى) ، بحثاً عن عقرب ، ليريه
إياه ..

ومنذ ذلك اليوم ، وحتى عاد الدكتور (حجازى)

أعداء صغار ..

الحياة فى حضان الجبل ، فى صعيد (مصر) ، لها طابع
خاص جداً ..

طابع يتميز بالخشونة ، والقساوة ، والحرارة الشديدة ،

و ..

والخطر ..

والخطر هنا لا يكمن فى المطايرد ، أو حروب الثأر ، أو حتى
فى عقول إخواننا الصعيدية ، وإنما يكمن أيضاً فى زوار غير
مرغوب فيهم ، اعتادوا التجوال فى كل مكان ، بمنتهى
الحرية ، لمباغتك فى أية لحظة ، دون دعوة ، أو سابق
إنذار ..

ولأننى أقمت هناك ، فى حضان الجبل ، لما يقرب من
العامين ، كان من الطبيعى أن أحظى بزيارة هؤلاء الأعداء
الصغار ..

العقارب بألوانها ، والثعابين والأفاعى بأحجامها المختلفة ..

إلى موطنه الأصلي ، فى شمال البلاد ، لم يضع قدمه على أرض الصعيد ، مادام فى المكان حجر واحد مقلوب ..

الطريف أنه عندما اتزعج هو لما حدث ، انطلق الجميع يضحكون ، وكأنما لا يصح له أن يخشى العقارب السامة القاتلة . ثم روى أحدهم أنه أراد يوماً مداعبة أمه ، فاصطاد عقرباً أسود (وهو أشد العقارب خطورة وسمية) ، وقطع ذيله ، ثم وضعه فى راحته ، وصافح أمه فى حرارة ، تاركاً العقرب فى كفها ، فقفزت مذعورة ، وفقدت وعيها (المسكينة) ..

ولقد انفجر الجميع ضاحكين ، لطرافة الدعابة ، فى حين ففرت أنا وصديقى الدكتور (حجازى) فاهينا ، ونحن نحقق فيهم بدهشة مستنكرة ..

وأعتقد أننا ، فى الليلة نفسها ، وضعنا أول صفحة ، فى بحث طويل ، عنوانه :

« لماذا يطلقون النكات على الصعابدة » ..

القصة الثانية هى أنه ذات يوم ، جاء اثنان من شباب الصعابدة الأصدقاء لزيارتي ، وهما يقهقهان ضاحكين ، وأحدهما يحمل كيساً من القماش ، وعندما سألتها عما يضحكها ، أخبرنى أحدهما أنها قد لمحا ثعباناً بالقرب من الطريق ، فوضعا خطة لاصطياده ، وتسأل أحدهما ليجذب ذيل الثعبان ، وعندما رفع الثعبان المسكين رأسه ، ليهاجم من جذب ذيله ، عاجله الشاب الثانى بضربة على رأسه بهراوته ، فقتله فوراً ..

وفى نهاية القصة ، أفرغ الشاب محتويات الكيس القماش الذى يحمله ، على سطح مكتبى ، فإذا به الثعبان الصريع ..

ولثوان حدقت فى الثعبان بمنتهى الرعب ، على الرغم من أنه ميت ، وأنا أتساءل : كيف سعى هذان الشابان لاصطياده ، وهو يجلس فى حاله؟!!

هه ... صعابدة!!

السؤال الآن هو ماذا ستفعل أنت ، لو التقيت بثعبان فى

الطريق؟!!

هيا .. قف .. لاداعى للجري الآن .. إنه مجرد
افتراض ..

واستعد للخبر المدهش ..

أنا التقيت به فى فراشى ، داخل الوحدة الصحية ..

كانت ليلة باردة كالثلج ، من الليالى التى تنعكس فيها
الرياح عن الجبال المحيطة ، لتصب على البلدة ، فتجعلها
أشبه بالثلجة ..

فى تلك الليلة أويت إلى فراشى فى العاشرة مساءً ،
وأنا أدعو الله ألا يأتينى زائر من زوار الفجر ، الذين
انتبهوا فجأة إلى أن أحد أبنائهم يختنق ، منذ سبعة أشهر ،
وبدت لهم الحالة عاجلة مستعجلة ، تحتاج إلى إيقاظ
الطبيب فوراً ، قبل مرور عشرة أشهر أخرى خشية أن
يختنق الابن بجد ..

ومن المؤكد أننى قد غرقت فى النوم فوراً ، ورحت
أحلم أحلاماً صعيدية غير مفهومة ، حتى شعرت فجأة بجسم
دافى يلتصق بى ..

ولأننى غارق فى النوم ، ولأننى أيضاً معتاد أن يدس
قضى الصغير (بلبل) نفسه فى فراشى ، فى ليالى
(طنطا) الباردة ، فقد توهمت أننى راقد فى فراش مدينتى ،
وأن هذا قضى ، فأفسحت له مكاناً ، وواصلت نومي ، وأنا
أشعر بدفء جسده إلى جوارى ..

ولسبب ما ، فتحت عيني فجأة ..

ورأيت نفسى داخل حجرة الوحدة الصحية ..

عندئذ فقط ، أدركت حقيقة الموقف ، وأننى فى (قنا) ،

ولست فى (طنطا) ..

وهنا ، اتسعت عيناى فى رعب ، وخفضتهما فى حذر ،
لأنظر إلى ذلك النائم إلى جوارى ، فوق الغطاء ، والذي يشع
دفناً عجيباً ..

ورأيته ..

ثعبان كبير لطيف ، تكور على نفسه على نحو شديد
الانتظام ، ودفن رأسه وسط جسده الملتف على نفسه ،
وراح أيضاً فى سبات عميق ، وكأنه يرقد على فراش
أبيه ..

ولدقيقة كاملة أو يزيد ، لم أنبس ببنت شفة ، ولم أتنفس أيضا على الأرجح ، وأنا أفكر في هذا الموقف ، وفي كيفية الخلاص منه ..

ولم يكن هناك سوى حل واحد ..

وببطء وحذر زائدين ، رفعت الغطاء عن جسدي ، وعيني معلقة بجسد ذلك الثعبان النائم ..

ثم فجأة ، ألقيت الغطاء فوقه ، وقفزت من الفراش ، وأنا أعدو بسرعة مائة كيلومتر في الدقيقة ، حتى أصبحت في نهاية الصالة ، حيث عصا غليظة طويلة ، أهداها أحد الأصدقاء للدكتور (محمد) ، طبيب الوحدة السابق ، اختطفتها ، وعدت إلى الحجرة (شوف الجنان) ورأيت صديقنا الثعبان يجاهد للخروج من الغطاء ، الذي التف حوله ، فهويت عليه بالعصا الغليظة مرة .. ومرة .. ومرات ..

لست أدري بالضبط كم مرة هويت بها عليه ، ولكنني لم أتوقف ، حتى همدت حركته تماما ، وظهرت بقعة صغيرة من الدم على الغطاء ..

ولثوان ، توقفت عن الضرب ، وأنا ألهث بشدة ، وأحدق

في الفراش ، ثم لم ألبث أن قررت مواصلة الضرب للأمان ، فهويت علي الثعبان بسبعمائة أو ثمانمائة ضربة تأكيدية ، قبل أن أتوقف بسبب التعب والإجهاد ..

وبعد ساعة تقريبا ، وكان الفجر يلقي أضواءه الأولى على السماء ، حملت الغطاء بالقتيل ، وألقيتهما من الشرفة ، عند أقدام حارس الوحدة ، الذي فوجئ بما حدث ، فسألني في دهشة حائرة عن سر ما أفعله ..

وهنا ، تقمصت شخصية (طرزان) ، الذي لا يهاب كل وحوش الأدغال ، وأخبرته بكل ثقة وتعال أنه مجرد ثعبان ، وجدته في فراشي ، فقتلته ..

هكذا ، بكل بساطة ، وكأني صعيدى ابن صعيدى ..

المشكلة التي حدثت بعد هذا ، هي أن الكل أخبرني أن وليفة الثعبان تصر دوماً على الثأر له ، وأنها تسعى للبحث عن قاتله ، حتى آخر عمرها ..

لذا فقد قام العمال بتنظيف الوحدة كلها في اليوم التالي ، وتفتيش كل شبر منها ، ثم حرصت أنا بعدها على إغلاق النوافذ والأبواب بمنتهى الإحكام ، والنوم بعين ونصف ، خشية أن تأتي الولىفة ، ويحدث ما لا تحمد عقباه ، ورحت

لقد شاهد عشرات أنقذهم المصل المضاد لسقم العقارب ،
وعشرات آخرين اختطفهم الموت بلا رحمة ، على الرغم
من المصل والرعاية الطبية ..

ولقد سمعنا أيامها عن زميل لنا ، كان يخشى العقارب
بشدة ، حتى إنه كان يفحص حذاءه قبل أن يرتديه ،
ويفتش حجرة نومه كل يوم ، ويعلق زمزمية مياه بحبل في
السقف ، حتى يضمن بعدها عن العقارب ، وعلى الرغم
من هذا ، فقد التقط زمزميته يوماً ليشرب ، فخرج منها
عقرب أسود صغير ، لدغته في شفته العليا ، وهرب ..

ومات الزميل المسكين من شدة الرعب والفرع ، قبل حتى
أن يحقن نفسه بالمصل ..

هذه القصة سمعناها جميعاً هناك ، وجعلتنا ندرك أن
العقارب شيء بغيب ، ينبغي الحرص كل الحرص منه ..
ولكن الحذر لا يمنع القدر ..

هذا ما تعلمته ووعيته جيداً هناك ..

ف ذات يوم ، وعلى الرغم من كل ما اتخذت من احتياطات ،
كنت أحضر بعض الأدوية من صيدلية الوحدة ، عندما شعرت

أمنى نفسي بأنه من المحتمل أن أكون قد قتلت الوليفة ،
والذكر نذل لن يأتى للنثار طبعاً ..

هذا ما كان من أمر الثعابين ..

أما العقارب فلي معها قصتان ..

وهذا طبعاً بالإضافة إلى عشرات القصص ، التي عشتها
لحظة ف لحظة ، كطبيب الوحدة الصحية ، وحامل المصل
المضاد للعقارب ، الذي تمتلئ به مخازن وثلاجات كل
الوحدات الصحية في ريف الصعيد ..



بألم مبالغت في قدمي ، وشاهدت عقرباً أحمر اللون يعدو مبتعداً ..

وبسرعة ، سحقت العقرب بقدمي ، ثم هرعت إلى ثلاجة الوحدة ، وحقنت نفسي بالمصل فوراً ..

في البداية ، شعرت بخدر عجيب يسرى في ساقي ، حتى أسفل ركبتى ، وتصوّرت أنه لن يلبث أن يمتد إلى جسدي كله ، إلا أنه راح ينسحب في سرعة ، حتى تلاشى تماماً ، وتعافيت بسرعة ..

هذه التجربة جعلتني أفقد الخوف المرضى من العقارب ، وأكتسب ثقة كبيرة في المصل المضاد لسمومها ..

ولكن المشكلة أن المصل لا يتوافر دوماً بالوحدة ؛ ففي بعض الأحيان ينفد المصل بسبب النشاط الزائد للعقارب ، مع ارتفاع الحرارة ، ونقضى يوماً أو نصف اليوم ، قبل أن تصلنا الطلبية الجديدة منه ..

وذات ليلة شديدة الحرارة ، كنا في انتظار وصول المصل ، عندما تم استدعائي لرؤية حالة عاجلة ، في نجع مجاور ..

كان منزلاً صغيراً ، شبه مظلم ، لا يضيؤه سوى مصباح

زيتي صغير ، والمريض يرقد على فراش من الطوب اللبني ، وعليه غطاء ثقيل (لست أدرى كيف) ، والعرق يغمر جسده ، من فرط الحمى ، والحرارة والغطاء ..

وقمت بتوقيع الكشف المعتاد على المريض ، ثم سحبت الغطاء ؛ لأستمع إلى نبضات قلبه ، عندئذ فوجئت بعقرب صغير ، يقفز من الغطاء ويسقط على قدمي ، ويلسغني لسعة قوية مؤلمة في كعبي ..

يا للنصيب ! العقرب يرقد في حضن الرجل ، ليلسغني أنا بالتحديد !!

المشكلة أنني كنت على مسافة كبيرة من الوحدة ، ومن أقرب مركز للإسعاف ، كما أن الوحدة كانت تخلو تماماً من المصل المضاد لسموم العقارب ..

وكان هذا يعني مصيراً واحداً ، شاهدته بنفسى أكثر من مائة مرة ..

الموت ..

ولكن أصحاب الدار بدوا هادئين للغاية ، وهذا أمر طبيعي ؛ لأنها حياتي وليست حياتهم ، ثم أرسلوا في طلب الحاوي ..

والحاوي هنا ليس هو ذلك الذى نراه فى الموالد ، والذى يخرج المناديل من أنفه ، والبيض من فمه .. إنه شخص آخر تمامًا ، مهمته التعامل مع سم الثعابين والعقارب ..

وبحكم مهنتى ودراستى كطبيب ، كنت أستكر بالطبع مثل هذه المهنة ، وأعتبرها نوعًا من الدجل والشعوذة ، مما جعلنى عصبياً متوترًا ، كأي شخص مقدم على موت محتوم ..

ولكن الرجل جاء ..

رجل فى حوالى الستين من عمره ، من قبائل بدو العرب ، هادئ ووقور جدًا .. قام بفحص موضع الإصابة فى بساطة ، ثم ربط ساقى بقوة ، أسفل ركبتى تمامًا ، وطلب إحضار وعاء به ماء ساخن جدًا ، وأذاب فيه ما يقرب من ثلاثة كيلوجرامات من الملح العادى ، ووضع قدمى فى الوعاء (ليسلقها) على الأرجح ، ثم راح يتلو عبارات عجيبة غير مفهومة ، وهو يجرح موقع اللسعة بموس جديد ، ويفصد دمي فى الوعاء الساخن ، وأصابتنى دهشة عجيبة فى البداية ، خاصة وأن الخدر راح ينسحب من قدمى بمنتهى الهدوء والسرعة ..

تمامًا كما فعل المصل من قبل ..

ثم فجأة ، انتبهت إلى أن الأمر علمى تمامًا ..

الماء الساخن جدًا سيؤدى إلى تمدد الأوعية الدموية ، والرباط أسفل الركبة سيحصر الأمر فى منطقة الساق ، والجرح الصغير سيحدث اتصالاً مباشرًا ، بين الدم والماء الساخن ، الذى يحوى كمية ضخمة من الملح ، ترفع ضغطه الاسموزى ، إلى الحد الذى يكفى لسحب كل السموم من ساقى ، اعتمادًا على النظرية العلمية ، التى تؤكد انتقال السوائل ، من الوسط الأقل تركيزًا ، إلى الوسط الأعلى تركيزًا ..

إن هؤلاء البسطاء يستخدمون قواعد علمية سليمة ، نتجت حتمًا عن دراسة قديمة ، أو خبرات نمت بانتقالها من جيل إلى جيل ..

أما الهمهمة والكلمات العجيبة ، فهى مجرد خزعبلات ، لإضفاء جو من القدسية والرهبنة على العملية كلها ..

والواقع أن هذا الموقف قد جذب انتباهى إلى جزء آخر من حياة جبال الصعيد ، لم أكن قد انتبهت إلى وجوده من قبل ..

إلى البدو ، بعالمهم الغامض والمثير ، والزاهر بعشرات الأسرار والمبهرات ..

رجل العدالة

لعبة الخطر

قصة كاملة



المؤسسة العربية الحديثة

مركز النشر والتوزيع

طريق مصر - الجيزة - حي النور

ولأننى فضولى (وغلس) بطبعى ، فقد قررت الغوص
فى هذا العالم ، والبحث عما يعرفه هؤلاء البسطاء ،
وما كشفوه عبر أجيال وأجيال من الخبرة ..

وهذا ما فعلته لأجد أمامى مفاجأة تفوق كل تصوراتى ..
مفاجأة مذهلة ..

بحق ؟

★ ★ ★

البقية فى الكتاب القادم بإذن الله

ضغط (هاشم همام) ، أشهر رجال الأمن بالمنطقة ،
دواسة الوقود في سيارته ، التي انطلق بها عبر شوارع
المدينة ، في الثالثة صباحاً ، في تلك الليلة الشتوية الباردة ،
التي خلت فيها الطرقات من المارة تماماً ، وهو يتعجل العودة
إلى منزله ، بعد ليلة طويلة مرهقة ، قضاهها في عمل دائم
مستمر ، منذ الثامنة صباحاً ، وحتى تلك اللحظة .

كان يشعر بتعب وتهالك ، لم يشعر بمثلها في حياته
كلها ، ويتمنى لو يبلغ حجرة نومه ، ويلقى جسده المكدود
على الفراش ، لينعم بنوم عميق طويل ، أملاً ألا يتم
استدعاؤه في الصباح المبكر ، لمواجهة قضية جديدة
كالمعتاد ..

وفي سرعة ونعومة ، راحت السيارة الرياضية الصغيرة
تشق طريقها ، عبر طرقات المدينة ، و (هاشم) يتمتم في
إرهاق :

- ينبغي أن أفكر جدياً في البحث عن مسكن جديد ، بالقرب
من مقرّ عملي ، حتى يمكنني أن أحظى ببعض النوم بين
ساعات العمل على الأقل ..

عكست مرآة سيارته أضواء أخرى تقترب منه في سرعة
فتطلع إلى المرآة لحظة ، وابتسم ابتسامة شاحبة مغمماً :
- ها هو ذا مسكين آخر ، يعود إلى منزله قرب الفجر ..
إنني لست الضحية الوحيدة للعمل إذن .

اقتربت منه السيارة الأخرى بسرعة كبيرة ، جعلته يعقد
حاجبيه ، وهو يتسائل في قلق :

- بأية سرعة ينطلق ذلك الأحمق ؟ إنه يتجاوز حتماً
السرعات المسموح بها ، للسير داخل المدن .

نقل بصره في تتابع منتظم قلق ، بين الطريق والمرآة ،
وهو يقترب من مفترق طرق كبير ، ولاحظ أن السيارة
الأخرى قد خففت من سرعتها على نحو مباغت ، ثم
توقفت في منتصف الطريق ، فتسائل في حيرة :

- لماذا توقفت هذا الـ ...

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه في ذعر ، وهو يرفع
قدمه في سرعة كبيرة ، من دواسة الوقود ، ويضغط بها
دواسة الفرامل ، وهو يهتف :

- ما هذا ؟

كانت هناك سيارة أخرى ، تعبر التقاطع فى سرعة كبيرة ، وعلى نحو مباغت ، حتى كاد يرتطم بها ، و ...
وفجأة توقفت السيارة ..

توقفت فى منتصف تقاطع الطريق تمامًا ، لتسد الطريق أمامه ، مما جعله يضغط فرامل السيارة بأقصى قوة ممكنة ، فأطلقت إطارات سيارته صريرًا مخيفًا ، ومالت السيارة فى عنف ، ودارت حول نفسها نصف دورة ، وهو يبذل أقصى جهده ، للسيطرة على عجلة القيادة ، ومنع السيارة من الانقلاب حتى نجح فى إيقاف السيارة بعرض الطريق ، وهو يهتف فى غضب :

- مجنون هذا الرجل مجنون حتمًا .

شعر بالدماء تغلى فى رأسه من فرط الغضب فدفع باب سيارته فى حدة ، وهو يقول ساخطًا :

سألن هذا الأحمق درسًا قاسيًا لن ينساه أبدًا .. لقد كاد يقتلنى باستهتاره هذا .

كان بهم بمغادرة سيارته عندما تجمدت عيناه لجزء من

الثانية على مشهد السيارة الأولى ، التى عادت تتحرك من جديد ، وانطلقت نحوه ، وكأنها تتعمد الارتطام بجانب سيارته ..

وفى هذا الجزء من الثانية انتبه (هاشم) إلى أمر قد يبدو بسيطًا ، ولكنه حمل لعقله انطباعًا عجيبيًا ..

كانت السيارتان من طراز واحد ولون واحد ..

لم يدرك للوهلة الأولى ما يعنيه ذلك ، ولم يُحاول البحث عن تفسير عاجل ، إذ لم تكن الظروف تحتل هذا ..

كان الأمر الحتمى الوحيد هو ضرورة إنقاذ حياته ..
وبأسرع ما يمكن ..

وفى حركة سريعة ، عاد (هاشم) إلى مقعد القيادة ، وضغط دواسة الوقود مرة أخرى ، وانحرف بعجلة القيادة فى سرعة ، وانطلق بسيارته ، فى اللحظة الأخيرة ، قبل أن ترتطم به السيارة الأخرى ..

ولكنه لم ينج من الاصطدام تمامًا ..

لقد ارتطم الجانب الأيسر ، من مقدمة السيارة الأخرى ،

بالجانب الأيسر الخلفى من سيارته ، ولكنه سيطر على عجلة القيادة فى قوة ، وهو ينطلق فى الطريق المعاكس لطريق منزله ..

وفى مرآة سيارته ، رأى السيارتين تستديران ، وتطاردانه جنباً إلى جنب مرة أخرى ، فزاد من سرعة سيارته ، وهو يهتف فى دهشة وتوتر :

- ماذا يفعلان ؟ إنهما مجنونان ولا ريب ..

كان ينطلق بأقصى سرعة يمكن أن تنطلق بها سيارته ، داخل المدينة ، وعلى الرغم من هذا ، اقتربت منه السيارتان بسرعة عجيبة جعلته يشعر بقلق بالغ ، وهو يقول :

- عجباً ! يبدو أن السيارتين تمتلكان محركات فائقة ، أو دورات سرعة إضافية ، أو ...

ارتطمت إحدى السيارتين بمؤخرة سيارته ، فى اللحظة نفسها فبتر عبارته ، وأدار عجلة القيادة فى حركة سريعة ، وانحرف بها إلى طريق جانبي ، فانحرفت السيارتان خلفه بنفس السرعة ، وعلى نحو يوحى بأن سائقيهما من

المحترفين ، الذين يجيدون قيادة السيارات فى مهارة مذهلة ..

وبدأ شعور (هاشم) بالقلق يتصاعد خاصة وأنه لم يكن يفهم ما تعنيه هذه المطاردة ، التى نشأت بغتة .. كما أن قوة السيارتين المطاردتين كانت تزعجه ، وتورثه شعوراً بالعجز ..

وفى مهارة ، تجاوزته إحدى السيارتين وقطعت الطريق فى سرعة كبيرة ، ثم انحرف بها سائقها فجأة ، وأوقفها بعرض الطريق مما اضطر (هاشم) إلى ضغط فرامل سيارته بأقصى قوته ، حتى لا يرتطم بها فدارت سيارته نصف دورة مرة أخرى وتوقفت بعرض الطريق بدورها .

وتصور (هاشم) أن السيارة الأخرى ستصطدم به فى عنف ، فمال إلى اليمين فى حركة غريزية عنيفة ، و ...

ولكن شيئاً من هذا لم يحدث ..

لقد ساد فجأة هدوء عجيب ..

هدوء مثير ..

ومخيف ..

ولثوان لم يستطع (هاشم) استيعاب الأمر ..

لقد توقفت إحدى السيارتين بعرض الطريق أمامه ،
على بعد مائة متر تقريباً وتوقفت الثانية خلفه ، على بُعد
مماثل ، دون أن يغادر أى سائق سيارته ..

وفى توتر ، سأل (هاشم) نفسه :

- ماذا يفعلان ؟

بقى سؤاله بلا جواب ، وتلاشى مع ذلك الصمت المطبق ،
وهذا السكون الرهيب ، الذى شمل كل شىء ، على نحو
ضاعف من توتر (هاشم) ، الذى قال :

- هل سنبقى هكذا إلى الأبد ؟

تذكر فجأة ، بمجرد الانتهاء من عبارته ، أنه يمتلك
جهاز إرسال ، من أجهزة الأمن ، فالتقطه فى حذر ، وهو
يغمغم :

- هذا الأمر يحتاج إلى مساعدة خارجية .

رفع جهاز اللاسلكى إلى فمه فى ببطء ، وضغط زرّ الاتصال ،
وهو يقول ، دون أن يرفع عينه عن السيارتين :

- هنا (هاشم همام) .. أجب يا مكتب الأمن الـ ..

لم يسمع صوت الرصاصة ، ولكنه فوجئ بها تعبر نافذة
سيارته الجانبية ، وتخرق جهاز اللاسلكى ، وتخطمه بصوت
مكتوم ، فتراجع فى حدة ، وحدق فى الجهاز المحطم فى
ذهول ، ثم نقل بصره إلى السيارتين ، وقال فى اقتضاب
وتوتر وسخط :

- رصاصة !؟

كان ما حدث يعنى له أمراً واحداً ..

أنهم لا يسعون لقتله ..

لو أراد من أطلق الرصاصة قتله ، لكان من السهل عليه
أن يطلق النار على رأسه مباشرة بنفس المهارة التى أطلق
بها رصاصته على جهاز اللاسلكى ، من هذه المسافة ..

ماذا يريدون منه إذن ؟

أهى لعبة !؟

مضت لحظات ، وهو يدرس هذا الاحتمال فى ذهنه ، ناقلاً
بصره بين السيارتين اللتين توقفتا تماماً ، وكأنهما تنتظران
منه القيام بمبادرة شخصية ، ثم لم يلبث أن قال فى صرامة :



- هناك وسيلة واحدة ، للتأكد من هذا .

أدار محرك سيارته مرة أخرى ، واعتدل بها في هدوء ، فتحركت السيارة التي تسد الطريق أمامه ، وأفسحته له تمامًا ، وكأنها تدعوه للانطلاق ..

وانطلق (هاشم) بالفعل ..

انطلق متجاوزا السيارة في سرعة ورأى السيارة الأخرى تنطلق خلفه ، ثم تشترك معها السيارة الأولى ، فاستدار بسيارته واتخذ طريق دائرة الأمن ، وهو يقول في حزم :
- ما دامت المطاردة تستهويكما ، فسأقودكما بنفسى نحو الفخ .

كان ينطلق بأقصى سرعة ، فى هذه المرة أيضًا ، ولكن السيارتين تبعته بسرعة كبيرة ، وبلغته فى بساطة مدهشة ، ثم اتجهت إحداهما إلى يمينه ، والثانية إلى يساره بحيث طوقته تمامًا ، على نحو مدروس ..

وحاول (هاشم) أن يرى سائقي السيارتين ، إلا أن النوافذ الجانبية لهما كانت مصنوعة من زجاج معتم ، يحجب عنه الرؤية تمامًا ، حتى عجز عن رؤية ما بداخل السيارتين ، وأحنقه أن يعجز عن دراسة خصميه ، خاصة وأنهما أخذتا ينحرفان فى بطء ، وكأنهما يجبران على اتخاذ طرق خاصة ، على الرغم منه ، ويقودانه إلى حيث يريدان ..

وأثار هذا المزيد من توتره وحنقه ، فحاول التخفيف من سرعة السيارة ، ليفلت من هذا الحصار ، إلا أنهما خففا

من سرعة سيارتيهما بدورهما ، بحيث لم يكن هناك فكاك من حصارهما ..

وفى قلق ، لاحظ (هاشم) أنهما يقودانه إلى خارج المدينة ، فغمغم :

- ما الذى يهدفان إليه بالضبط ؟

كان يتجه ، على الرغم منه ، إلى خارج المدينة ، وكان لا بد له من المقاومة ، فانطلق بسرعة كبيرة ، انتقل إليها سائقا السيارتين على الفور ، فضغط فرامل سيارته على نحو مباغت ، هاتفا :

- وداغا أيها الحمقى ..

تجاوزته السيارتان لحظات ، كانت كافية لينحرف إلى اليمين ، وينطلق عبر طريق جانبي طويل ..

ومن خلفه سمع (هاشم) صرير إطارات سيارة تتوقف ، ثم رأى بعدها إحدى السيارتين تطادره فى سرعة ، فى حين لم يلمح السيارة الأخرى ، فتساءل فى قلق وحيرة :

- أين ذهبت السيارة الأخرى ؟

لم يكد يتم عبارته ، حتى ظهرت السيارة الأخرى فى نهاية الطريق ..

وأدرك (هاشم) أنه لن يربح لعبة السرعة هذه ، فمن الواضح أن سيارته لا تقارن أبداً بقوة السيارتين الأخرين ، لذا فقد أوقف سيارته فى منتصف الطريق ، ورأى السيارة من خلفه تتوقف ..

وعاد الصمت والسكون يشملان كل شىء ..

ومرة أخرى تساءل (هاشم) عما يعنيه كل هذا ؟

إنهما يحاولان جذبته إلى خارج المدينة ..

لكن لماذا ؟

لو أرادا قتله لفعلا ..

إنه حتى لا يحمل سلاحه ..

لقد تركه فى مكتبه ، وهو يتصور أنه لن يحتاج إليه ، فى ليلة بلغ فيها إرهاقه مبلغه ..

ومن الواضح أنه لا فكاك له من هذا ..

إلا إذا ..

قفزت فكرة ما إلى ذهنه فجأة ، فدفق باب سيارته ، وهبط منها ، وصاح فى غضب صارم :

- ماذا تريدان منى بالضبط ؟

لم يتلق سوى الصمت جواباً لسؤاله ، فهتف مرة أخرى ..

- ماذا تريدان ؟

أتاه الجواب فى هذه المرة ، على هيئة رصاصة صامتة ، انطلقت - ولاريب - من مسدس أو بندقية ، تم تزويدها بكاتم للصوت ، وأصابت زجاج باب السيارة الأمامى ، واخترقته فى دوى مكتوم ، فقفز (هاشم) داخل سيارته مرة أخرى ، وقال فى حدة :

- يبدو أنه لا مفر .

أدار محرك سيارته واستدار بها فى بطن ، فاتجهت إليه السيارتان مرة أخرى ، وحاصرتاه فى هدوء وعادتا تقودانه إلى خارج المدينة ..

وفى ذهنه ، راح (هاشم) يرتب الأمر جيداً ..

إنها لعبة ..

لعبة عجيبة من نوعها ، يحاول صاحبها إثبات تفوقها فى القيادة ..

أو أنها عملية ثار ..

شخص ما ، أو عدة أشخاص ، يعبثون به قليلاً ، كما يفعل القط بالفأر ، قبل أن يلتهمه .

ولكن من يفعل به هذا !؟

من !؟

بذل أقصى جهده للسيطرة على أعصابه ، وتركهما يقودانه إلى خارج المدينة ، وهو يحاول ترتيب ذهنه ، لمعرفة شخصية خصمه ..

من من أعدائه يجيد القيادة بهذه المهارة ؟

(جابر) ، و (سليم) ، و (طاهر) ، و (لبيب) ..

من يمكنه أن يتفق مع الآخر .. لمهاجمته على هذا النحو ؟

بدأ فى وضع الأسماء جنباً إلى جنب ، ولكنه كشف أن أى اثنين منهم ، يمكنهما أن يتعاونوا لإزالته وقتله ..

نفض عملية البحث عن ذهنه مؤقتاً ، عندما لاحظ أنهما نجحا أخيراً فى دفعه إلى خارج المدينة ، وهو يجتاز مخرجها

الرئيسي ، وينطلق بينهما عبر الطريق الخارجى الطويل ..

ثم التمع البرق فى السماء ..

وهطلت الأمطار فجأة ..

أمطار غزيرة ، بدت وكأن السماء قد انشقت عنها ،

دون سابق إنذار ..

ومع الأمطار ، خففت السيارتان سرعتها ، وتراجعتا

على نحو مباغت ، وراحتا تنطلقان خلفه وهو يتساءل :

- ها نحن أولاء قد أصبحنا خارج المدينة .. ماذا تريدان

إذن ؟

انتبه فجأة إلى أنه يقترب من منحني شهير خارج المدينة ،

أطلق عليه السائقون اسم (منحني الموت) ، وساوره القلق

أكثر من ذى قبل ، إذ بدا له ذلك المنحني مكانًا مثاليًا

للتخلص منه ، و ...

وفجأة ضربته إحدى السيارتين من الخلف ..

ضربه فى عنف ، وكأنها تحاول دفعه إلى الأمام ، فى نفس

اللحظة التى اتجهت فيها السيارة الأخرى ، لتسير إلى

يساره ، محاذية إياه تمامًا ..

واقترب المنحني ..

وكان من الضروى أن ينحرف (هاشم) يسارًا ، ولكن

السيارة التى تجاوره كانت تمنعه من هذا ، فى نفس الوقت

الذى تضربه فيه السيارة الأخرى من الخلف فى عنف ..

لقد صدق حدسه ..

إنهم ينوون القضاء عليه فى هذا المنحني ..

فى منحني الموت ..

خفق قلبه فى قوة وعنف ، عندما أدرك أنهم يريدون

قتله بالفعل هذه المرة ، وصاح لنفسه :

- لا .. لن يصلح الاستسلام هذه المرة ..

كان عليه - فى هذه المرة - أن يدافع عن حياته ، وبكل

ما يملك من قوة ..

وفى عنف ، انحرف (هاشم) بسيارته يسارًا واحتك

جانب السيارة الأيسر بجانب السيارة الأخرى الأيمن ،

وانطلق صرير رهيب مزعج ، وراحت الشرارات تنطلق

من مناطق الاحتك ، وخصمه يصر على عدم التراجع ،

وهو يزداد إصرارًا على إنقاذ حياته ..

والمنحني يقترب ..

ويقتررب ..

ويقتررب ..

وفجأة انحرف (هاشم) يمينا ، قبل أن يبلغ المنحنى ، وأفلت من السيارتين فى مناورة بارعة سريعة ، وتركهما تتجاوزانه بعدة أمتار ، وهو يضغط فرامل سيارته فى رفق ، ثم عاد بسرعة إلى يسار الطريق ، وتجاوز مع السيارتين ذلك المنحنى الخطر فى مهارة ..

وأصاب الغضب قائدى السيارتين فخففا من سرعتهم بدورهما ، وعادا يطوقان (هاشم) ، من الخلف واليمين هذه المرة فى محاولة لدفعه إلى الارتطام بذلك الحاجز المعدنى الذى يفصل جانبى الطريق عن بعضهما ..

وفى عنف ، راحت السيارة الخلفية تضرب مؤخرة سيارته ، فى حين أخذت السيارة التى إلى يمينه تدفعه نحو الحاجز فى إصرار ..

واحتك جانب السيارة الأيسر بالحاجز فى عنف ، وتطاير الشرر أكثر عنفاً وقوة هذه المرة ، وصاح (هاشم) غاضباً :

- أيها القذران .

ثم ضغط فرامل سيارته بغتة ، وترك السيارة الخلفية ترتطم بمؤخرة سيارته فى عنف ، فى حين تجاوزته السيارة اليمنى بمترين أو ثلاثة ، فاتحرف يمينا ، وانتهز فرصة تخفيفها لسرعتها ، للحاق به مرة أخرى ، وزاد من سرعته هو ، وتجاوزها بغتة ..

الآن أصبحت السيارتان خلفه ..

وبكل مهارته وقدراته ، راح (هاشم) ينتقل من يمين الطريق إلى يساره ، محاولاً منع السيارتين من تجاوزه ، أو تطويقه .. وتزايد اتهمار الأمطار ..

ومع حركة مساحتى السيارة ، لمح (هاشم) تلك اللافتة .. لافتة كبيرة ، مكتوبة بطلاء فوسفورى تنعكس عنه الأضواء فى شدة لتوضح وجود هوة عميقة إلى يمين الطريق ، بعد عدة أمتار ..

هوة عميقة !؟

هوى قلبه بين ضلوعه ، عندما قرأ اللافتة ..

إنها فرصتهما الثانية ..

دفعة قوية ناجحة ، ويتخلصان منه في قاع الهاوية ..

راح قلبه ينبض في قوة وعنف ، وسيارته تقترب من الهوة العميقة ، وبدا من الواضح أنهما لاحظا اللافتة أيضا ، فقد راحت إحدى السيارتين تضربه من الخلف في عنف ، وكأنها تحاول دفعه إلى الهوة ..

ولاحت الهوة من بعيد ..

والسيارة تقترب بسرعة مخيفة ..

وكان عليه أن يبحث عن حل لهذا الموقف ، وعن مخرج من هذا المأزق ..

والعجيب أن (هاشم) ، على الرغم من طبيعة عمله ، يكره العنف والدمار والقسوة ولا يميل إلى هذه الصفات ، إلا إذا اضطرته الظروف الطارئة لهذا ..

وهذا الموقف من أصعب الظروف الطارئة التي مرّ بها في حياته ..

إنه يواجه الخطر ..

خطر الموت ..

ومن حقّه الدفاع عن حياته ..

وبأية وسيلة كانت ..

وانعقد حاجباه في حزم صارم ، وهو يدرس خطته .. وكعادته ، استغرقت منه دراسة الخطة لحظة واحدة ، وفي اللحظة التالية مباشرة ، كان يضعها موضع التنفيذ ..

وضغط (هاشم) فرامل سيارته ، وتترك السيارة الأخرى تدفعه أمامها ، نحو الهوة ، وهو يتخذ يسار الطريق ، ليمنع السيارة الأخرى من محاصرته من جهة اليسار .. ودفعته السيارة نحو الهوة ..

دفعته بكل قوتها ، وهو يضغط فرامل سيارته ، وسمع صوت احتكاك الإطارات بالأرض المبتلة .. وأصبحت الهوة على قيد خمسة أمتار ..

أربعة ..

ثلاثة ..

اثنين ..

وفجأة أطلق (هاشم) فرامل سيارته ، وضغط دواسة القود ، ثم انحرف إلى اليسار ..

ولثوان ، خيّل إليه أنه سيهوى بسيارته في الهوة ..

لقد انزلت السيارة بالفعل ، وشعر وكأن إطاراتها الخلفية قد مالت في الهواء خارج الطريق ولكنه سيطر على عجلة القيادة بيد من الفولاذ ..

أما السيارة الأخرى ، التي كانت تدفعه في عنف ، فقد اندفعت بسرعة كبيرة مباحثة ، عندما أفلتت منها سيارة (هاشم) فجأة ، ووجد قائدها نفسه يندفع نحو الهوة ، فضغط فرامل سيارته ، محاولاً الإفلات من السقوط ، وانحرف بعجلة القيادة يساراً ، ولكن السيارة انزلت في عنف ، فوق الأرض الزلقة و ..

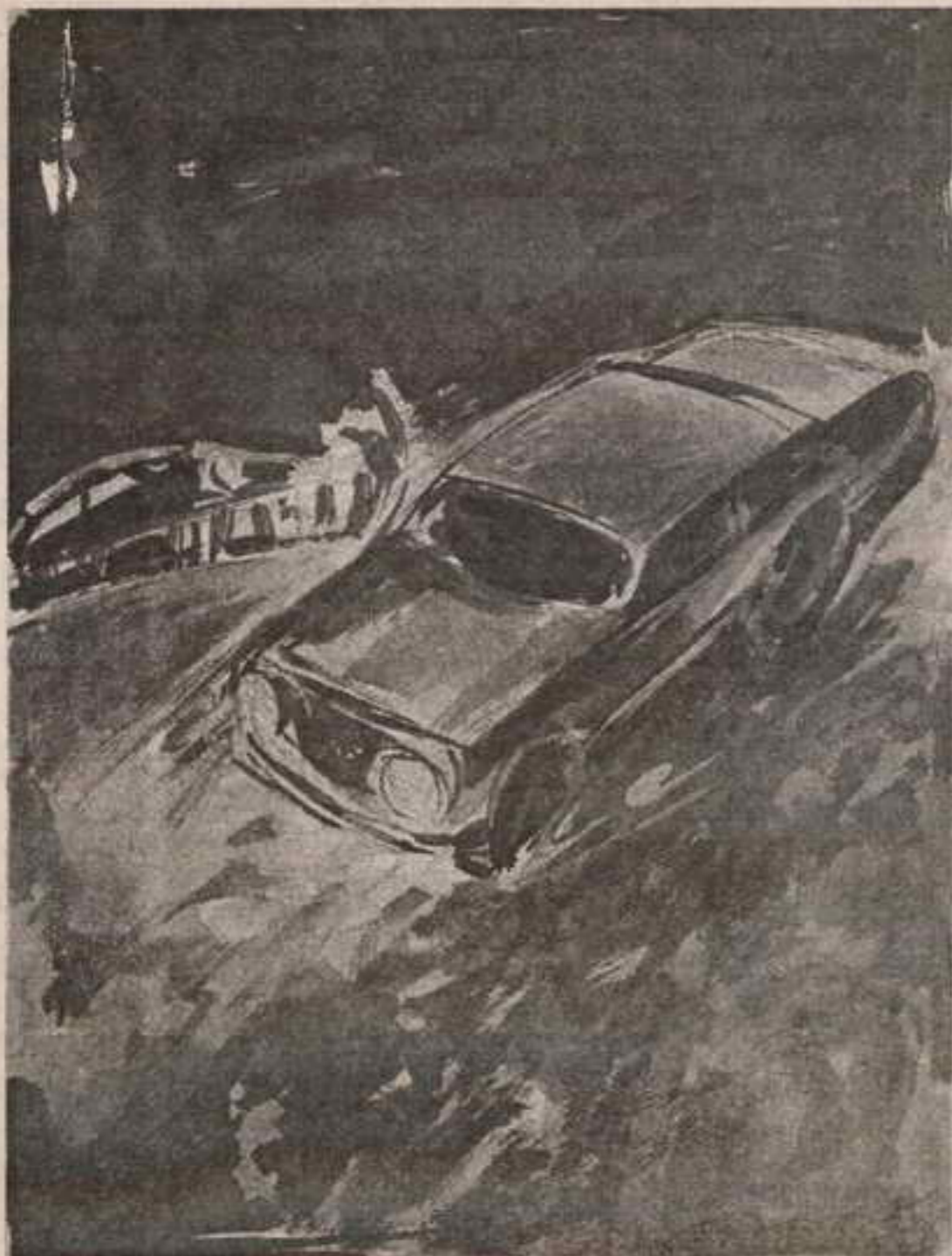
واندفعت خارج الطريق ..

ولثوان ، بدت السيارة معلقة في الهواء ، فوق الهوة ..
ثم هوت ..

وتناهى إلى مسامع (هاشم) صوت الارتطام العنيف ..
ثم دوى الانفجار ..

انفجرت السيارة في قاع الهوة في عنف ، واشتعلت بها النيران ..

وفي مرآة سيارته ، رأى (هاشم) السيارة الأخرى تتوقف



واندفعت خارج الطريق .. ولثوان ، بدت السيارة معلقة في الهواء ، فوق الهوة .. ثم هوت ..

عند الهوة ، فزاد من سرعة سيارته ، حتى بلغ أول منحني ،
يمكن أن يُعيده إلى المدينة ، وانحرف يسارًا ، ثم انطلق
بكل سرعته عائدًا ..

وانطلقت السيارة الأخرى خلفه ..

كان من الواضح أن قائدها قد أصيب بجنون الغضب ،
وأنه يطارد (هاشم) في عنف أكثر هذه المرة ، فقد
انحرف في المنحني بسرعة مدهشة ، كادت تخرجه عن
الطريق ، ثم اندفع بسرعته القصوى ، فوق الأرض الزلقة ،
على الرغم مما يعرضه له هذا من مخاطر ..

وراح (هاشم) يناور في براعة ..

كان كل ما يسعى إليه هو أن يمنع هذه السيارة من
تجاوزه ، حتى لا يجبره قائدها على العودة إلى الطريق مرة
أخرى ، لذا فقد انطلق أمام السيارة مباشرة ، محتملا ضرباتها
ومسيطرًا على عجلة القيادة ، بكل ما يمكن من قوة ..

وفجأة تحطم زجاج السيارة الخلفي .. وفي نفس اللحظة ،
تكون ذلك الثقب ، في الزجاج الأمامي ..

وأدرك (هاشم) طبيعة هذا الشيء على الفور ..

إنه رصاصة ..

لقد بدأ قائد السيارة المتبقية ، في إطلاق النار عليه ..
وهو يهدف إلى قتله هذه المرة ..

وأصبحت مناورة (هاشم) حتمية .. وخصمه يطلق
الرصاصات ..

رصاصه ..

وثانية ..

وثالثة ..

وتهشم زجاج السيارة الأمامي أيضًا ، وارتطمت الرياح
الباردة ، المحملة بالأمطار بوجهه (هاشم) ، الذي راح
يرتجف ، وشعر بأطرافه تتجمد ، وأنفه يلتهب ..

ومع ضربات قلبه المتلاحقة ، عبر مدخل المدينة بسرعته
القصوى ، ورأى السيارة تلاحقه في إصرار ، وقائدها يحاول
تجاوزه بشتى الطرق ، ولكنه يمنعه من هذا بمناورات
معقدة ، استخدم فيها كل مهاراته وخبراته في القيادة ،
لتفادي فارق القوة والسرعة ، الذي يميز السيارة
الأخرى ..

وفجأة توقفت السيارة في عرض الطريق ، ثم انحرف
بها قائدها في طريق جانبي ، واختفى تماماً ..

وهنا تضاعف قلق (هاشم) ..

كان يعلم أن قائد السيارة سيظهر فجأة كما اختفى ،
ولكنه يجهل كيف ومتى ، وأين يظهر ..

كل ما يمكنه فعله ، هو أن ينطلق بأقصى سرعة ، محاولاً
بلوغ دائرة الأمان ، قبل أن يظهر قائد السيارة الأخرى ..

وتضاعف إحساسه بالبرد ، مع صعوبة الموقف ، وتمنى
أكثر وأكثر ، لو أنه بلغ فراشه ، واندس تحت الأغطية
السميكة ، لينعم بالدفء والأمان ..

وفجأة ظهرت السيارة الأخرى ..

ظهرت من طريق جانبي ، على نحو مباغت ، وهو تنطلق
نحو الجانب الأيسر لسيارة (هاشم) ..

ثم انطلقت الرصاصات ..

ثلاث رصاصات متتالية ، لم يسمع صوتها كالمعتاد ،
ولكنه شعر بإحداها تحتك بعنقه ، وسمع الأخرى ترتطم

بزجاج النافذة ، أما الثالثة ، فنفذت من باب السيارة ،
واستقرت في مسند المقعد خلفه ..

وحاول (هاشم) أن يزيد من سرعة سيارته ، إلا أنها
كانت تنطلق بأقصى سرعتها بالفعل ، فلم يملك سوى الانحراف
يميناً ، إلا أن هذا لم يمنع الاصطدام .

اصطدام عنيف ، أصاب النصف الخلفي من السيارة ،
وأدارها حول نفسها ، قبل أن ترتطم بالإفريز ، وتقفز فوقه ،
ثم تستقر ويتوقف محركها ..

ودارت السيارة الأخرى حول نفسها وواجهت سيارة
(هاشم) ، ثم أشعلت أضواءها الأمامية وأطفأتها عدة
مرات ، وكأنها ثور هائج ، يستعد للانقضاض على فريسته ..

وفي توتر بالغ ، راح (هاشم) يدير مفتاح سيارته ،
وهو يقول :

لا تتخلى عنى في هذه اللحظة .

ولكن السيارة أبت أن تتحرك ..

لم يشتعل محركها أبداً ..

وانطلقت السيارة الأخرى ..

ولم يعد هناك مجال للمحاورة والمناورة .. وبكل ما يملك من سرعة وقوة ، قفز (هاشم) خارج سيارته ، قبل لحظة واحدة من ارتطام السيارة الأخرى بها ..

لقد خسر سيارته ، في حين لم تخسر السيارة الأخرى سوى مصباح أمامي ، وجزء من شبكة المقدمة ..

وتراجعت السيارة الأخرى ، ثم استعدت للانقضاض على (هاشم) ، الذي هب واقفاً على قدميه ، ثم انطلق يعدو بأقصى سرعته .

ولربيع دقيقة كاملة ، لم تتحرك السيارة ..

كان قائدها يراقب (هاشم) ، وهو يعدو بكل قوته ، محاولاً بلوغ نهاية الطريق الطويل ، كقط يراقب فأراً ، قبل الانقضاض عليه ..

أما (هاشم) فأخذ يلهث في قوة ، وهو يقول لنفسه :

- هيا أيها المغرور .. امنحني ربع دقيقة أخرى ، ولن تنجح بعدها في الإيقاع بي أبداً .

ولكن السيارة انطلقت في هذه اللحظة ..

انطلقت بكل سرعتها بغتة ، وكأنما اتخذ قائدها قراره الحاسم ، بالقضاء على (هاشم) ..

وسمع (هاشم) السيارة تنطلق خلفه ..

ولم يكن هناك طريق جانبي واحد ، يمكنه الفرار عبره ..

واقتربت السيارة في سرعة غاضبة ..

وراح قائدها يمنى نفسه بالثأر ..

واقترب من (هاشم) أكثر وأكثر ، بحيث لم يعد يفصلهما سوى متر أو مترين ..

وفجأة انحرف (هاشم) يميناً ، وقفز بقدميه فوق سيارة متوقفة ، إلى جانب الطريق ، ثم قفز منها إلى الإفريز ..

وانحرفت السيارة خلفه ..

وكانت أمامه السيارة نفسها ، التي قفز فوقها (هاشم) ..

ولم يكن من الممكن تفادي الاصطدام ..

وبكل العنف ، ارتطم الجانب الأيمن للسيارة ، بالجانب

الأيسر للسيارة المتوقفة ..

وفي مشهد نادر عجيب ، قفزت السيارة في الهواء ..

وكانت قفزة رهيبية ، حلقت فيها السيارة لحظات ، ثم هوت لترتطم بالأرض في عنف ، قبل أن تنقلب رأساً على عقب .

وتوقف (هاشم) مبهوتاً ، يلهث في عنف ..

ثم رأى تلك اليد ، ذات القفاز الأسود ، وهي تحاول الخروج من السيارة ، فتحرك لإسعاف صاحبها ، ومعاونته على الخروج من السيارة ..

ولكن الانفجار حدث بغتة ..

انفجار عنيف ، نسف السيارة كلها ، ودفع (هاشم) عدة أمتار للخلف ، قبل أن يستقر أرضاً ، ويتطلع إلى السيارة المشتعلة في ذهول ..

لقد نجا ..

وهذا يكفي ..

ولم يكن شعوره بالبرد قد انتهى بعد ، وهو يجلس في حجرة مكتبه ، في السادسة صباحاً ، وبين يديه قدح من الشاي الساخن ، وزميله (يحيى) إلى جواره يقول :

- كانت ليلة عنيفة ، ومن حسن حظك أن نجوت منها .

غمغم (هاشم) :

- لم أتصور أن يحدث هذا أبدا .

ثم سأل (يحيى) في اهتمام :

- ولكن من هما ؟ وماذا أرادا مني ؟

مط (يحيى) شفثيه ، وهز كتفيه ، قائلاً :

- لا أحد يدري بعد ، وربما أفادنا الطب الشرعي ، في معرفة شخصيتهما ، وإلى ذلك الحين سيظل الأمر كله غامضاً مجهولاً ، ولقد تحريت عن الأشخاص الأربعة ، الذين كنت تشك في أمرهم ، ووجدت أن (طاهر) و (سليم) في السجن ، يقضيان فترة عقوبة طويلة ، أما (لبيب) و (جابر) ، فمازالا على قيد الحياة ، وقد التقيت بهما بنفسى .

ارتشف (هاشم) رشفة من قدح الشاي ، وقال في حيرة :

- من هما إذن ؟

هز (يحيى) كتفيه ، وقال :

- فلنترك هذا للزمن .. المهم الآن أنك قد نجوت من هذه

اللعبة ..

الننداء



المؤسسة العربية الحديثة
بيروت - لبنان

قال (هاشم) مستكرا .

- لعبة ؟!

ابتسم (يحيى) ، وقال :

- نعم يا صديقى ، بالنسبة لرجل العدالة ، فهي جزء من
اللعبة الدائمة ، التى يحيا فيها ، مضحيا براحته وساعات
نومه .

واتسعت ابتسامته ، وهو يستطرد :

- لعبة الخطر .

- أراهنك على أنني سأسقط ضعف ما ستسقطه أنت ، من طائرات العدو .

هتف (حسن) بضحكة مجلجلة :

- هيهات .

راحا يتحديان بعضهما ، بأسلوبهما المرح ، الذي يحمل كل آيات الصداقة والمودة ، وهما يتجهان إلى ممرات الإقلاع ، حيث تقبع طائرتاهما الحديثتان ، من طراز الميج السوفيتية الصنع ، والتي يقودها ، ولأول مرة ، طيار واحد ، دون ملاح مساعد ..

وقبل أن يبلغا طائرتيهما بعدة أمتار ، توقّف (حسن) فجأة ، والتفت إلى صديقه ، وأمسك عضده بأصابع قوية ، وهو يقول بتوتر مبالغت :

- (عزت) .. لا تتهور كثيرا في أثناء القتال .. تذكر ما أخبرونا به في القيادة .. إننا لانقاتل لننتحر ، ولكن لنفوز وننتصر على العدو .. والانتصار يعنى الإبقاء على حياتنا أيضا .

ابتسم (عزت) في حيرة متوترة ، وهو يقول :

١- ساعة الصفر ..

السبت .. السادس من أكتوبر ١٩٧٣ م ..

الواحدة ظهرا ..

في تلك اللحظة فقط ، وقبل ساعة الصفر بستين دقيقة فحسب ، تلقى الطيار (عزت شاهين) ، النقيب بالقوات الجوية المصرية ، الأوامر ، الخاصة بالضربة الجوية الأولى ، في حرب الثأر ، التي طال انتظار (مصر) لها .. وبمنتهى العنف والحماس ، خفق قلبه بين ضلوعه ، وهو يهتف بصديقه وزميل سلاحه (حسن) :

- أخيرا .. أخيرا سنفعلها يا (حسن) .

التقط (حسن) نفسا عميقا ، وهو يقول في حزم :

- أخيرا يا (عزت) .

انطلقا معا إلى حيث ارتديا ثياب القتال ، وهتف (عزت) ،

وهو يطلق ضحكة صاخبة :

- ومن جعلك تتصور أنه من الممكن أن أقدم على الانتحار؟
 بدا التردد على وجه (حسن) ، وشفتيه المرتجفتين ،
 قبل أن يربّت على كتف صديقه في قوة ، قائلاً بمنتهى
 الحزم :
 - لن أسمح لهم بالمساس بك يا صديقي .. صدقتي ..
 لن أسمح لهم أبداً .

أطلق (عزت) ضحكة حائرة مرتبكة ، وهو يقول :

- ماذا دهاك اليوم يا صديقي .. تتحدث إليّ كما لو كنت
 مبتدئاً في هذا المضمار !! ألم نقم بكل مناوراتنا معاً ،
 وكلنا يعرف قدرات الآخر جيداً !!

تنهد (حسن) في توتر عجيب ، وهزّ رأسه ، قائلاً :

- لست أدري لماذا أشعر بـ .. حسن .. لا عليك .. وفقك
 الله يا صديقي .. هيا بنا .

أمسك (عزت) يده فجأة ، قائلاً :

- انتظر .

تطلّع إليه (حسن) في حيرة قلقة ، فرفع (عزت) ،
 مطواته الصغيرة ، قائلاً :

- إنه أسلوب من أساليب الهنود الحمر ، ولكنني أميل
 إليه كثيراً .

قالها ، وغرس مليمترًا من نصل مطواته الصغيرة ، في
 طرف سبّابته اليسرى ، ثم فعل المثل بسبّابة (حسن)
 اليسرى ، وألصق سبّابته الدامية بها ، وهو يضحك ، قائلاً :

- الآن نحن أخوة بالدم .

ابتسم (حسن) ، قائلاً :

- نحن دومًا كذلك يا صديقي .

ثم عاد يربّت على كتفه ، هاتفاً :

- والآن هيا بنا .. (مصر) تنتظرنا .

وانطلق كلاهما لتلبية النداء ..

نداء الوطن ..

* * *

كانت مفاجأة مذهلة للعدو الإسرائيلي بكل المقاييس ..

أكثر من مائتي طائرة ، عبرت قناة السويس ، على

طول خط المواجهة ، في لحظة واحدة تقريبًا ..

وقبل أن يستوعب العدو المفاجأة ، كانت الصواريخ المصرية تنهمر على مطارات وقواعد ومعسكرات العدو كالمطر ..

وفى خط (بارليف) ، أقوى خط دفاعى فى التاريخ ، على حد قول صانعيه ، اختفى الكل فى ارتياح ، والنيران تنهال على كل شبر ، والانفجارات تدوى فى كل سنتيمتر من المكان ..

وتحت وابل النيران المكثفة ، من الطيران والمدفعية ، على مواقع العدو ، هبطت زوارق جنودنا فى مياه القناة ، لتعبرها ببسالة ألجمت العدو قبل الصديق ..

وفى طائرته ، هتف (عزت) :

- رائع .. عظيم .. كم حلمت بهذه اللحظة طويلاً .

أتاه صوت (حسن) ، عبر جهاز الاتصال اللاسلكى ، وهو يهتف بحماس منقطع النظير :

- إنه حلمنا جميعاً يا رجل .

كانت طائراتهم تسيطر تماماً على سماء المعركة ، وتنسف وسائل الدفاع الإسرائيلية بلا هوادة ..

واشتعلت (سيناء) كلها بالنيران والانفجارات ..

ثم ظهرت طائرات العدو ..

أربعة أسراب من طائرات الفانتوم الأمريكية الصنع ، خرجت بطياريها الإسرائيليين ؛ لمواجهة الهجوم ..

وانقضّ نسورنا البواسل ..

وفى سماء (سيناء) ، بدأت أول مواجهة حقيقية ، بين نسورنا وحمائمهم ..

وأثبت نسورنا أنهم الأفضل ..

وبلا منازع ..

(حسن) وحده أسقط أربعاً من طائرات الفانتوم الإسرائيلية ..

و (عزت) أسقط ثلاثاً ، ببراعة مذهشة ، وقام بدورة مبهرة ، وسط النيران والدخان ، لينقضّ على مؤخرة الطائرة الرابعة ..

كان الطيار الإسرائيلى بارعاً بحق ، وهو يحاور ويناور ، محاولاً الإفلات من طائرة (عزت) ، إلا أن هذا الأخير

كان يبدو وكأنما التصق به ، على نحو لا يصلح معه الفرار ..

وفي مقعده ، أمسك (عزت) عصا الإطلاق ، وهو يغمغم :

- الوداع يا هذا .. أنت تعادل الكفة ، بينى وبين (حسن) .

فى تلك اللحظة بالذات ، ظهرت الطائرة الإسرائيلية الأخرى ..

برزت من بين السحب الكثيفة ، وانقضت من أعلى على طائرة (عزت) ..

ومن بعيد ، لمحها (حسن) ..

وبأقصى سرعته ، اندفع نحو طائرة (عزت) ، وهو يهتف عبر جهاز الاتصال المحدود :

- من (نسر - ٧) إلى (نسر - ٦) .. احترس .. خصم آخر من أعلى ، عند الساعة التاسعة (*) .

(*) يستخدم الطيارون فى المعتاد نظام عقارب الساعة ، لتحديد مواقع الأهداف المحيطة بهم .

رفع (عزت) رأسه فى سرعة ، ولمح الفانتوم التى تنقض عليه من أعلى ، فهتف فى صرامة ، وهو يضغط زر الإطلاق :

- فلنجعلها الضحية رقم خمسة .

انطلق الصاروخ من طائرتة ، فى نفس اللحظة التى ارتفع هو فيها ، بزاوية عسيرة مدهشة ، ودار بطائرتة حول نفسها ، على نحو مخيف ، جعل (حسن) يهتف ، وهو يتجه نحوه :

- رباه ! ما الذى يفعله هذا المجنون ؟

ودوى الانفجار ..

نسف الصاروخ تلك الفانتوم الإسرائيلية بعنف ، وانبعثت مع انفجارها كتلة هائلة من اللهب ، أحاطت بها لمسافة ضخمة ، حتى إن طائرة (عزت) قد اخترقتها ، مع مناورتها المعقدة ، قبل أن تدور لمواجهة الفانتوم الخامسة ، وقد انقلبت رأساً على عقب ..

واتسعت عينا (حسن) فى ارتياح ، مع مرأى مسار طائرة (عزت) ، التى بدا من الواضح أنها سترتطم حتماً بالفانتوم الإسرائيلية ..

وصرخ (حسن) :

- احترس يا (نسر - ٦) .. احترس .. ولكن مسار
طائرة (عزت) ، مع مسار الفانتوم الخامسة ، كان يحتم
الارتطام ..

واتسعت عينا (حسن) أكثر وأكثر ..

ثم فجأة ، ظهرت تلك البقعة البرتقالية ..

شيء أشبه بكرة بلا حدود ..

كيان هلامي ، برتقالي اللون ، اندفع فجأة من بين
السحاب ، بسرعة تفوق سرعة أقوى الطائرات بخمس
مرات على الأقل ..

وبلغ اتساع عيني (حسن) أقصاه ، وهو يحدق في تلك
الظاهرة الرهيبة ، وفي الطائرتين ، اللتين تزمعان الارتطام
ببعضهما و ...

وفجأة ، ارتطم ذلك الكيان الهلامي البرتقالي بالفانتوم
الإسرائيلية ..

ودوى الانفجار ..

انفجار هائل رهيب ، يفوق انفجار ثلاث طائرات مجتمعة ،
أصيبت بعشرة صواريخ على الأقل ..

وصرخ (حسن) :

- لا يا (عزت) .. لا ...

وبسرعة مذهشة ، تلاشى أثر الانفجار ، وتهاوت الشظايا
على مسافة واسعة للغاية ، حتى لقد بدت أشبه بمظلة من
النار ، تغمر سماء المعركة كلها ..

وبكل لهفة الدنيا مشط (حسن) السماء بعينه .

لقد تلاشى الانفجار تمامًا ..

ولم يعد هناك أثر لذلك الكيان الهلامي البرتقالي العجيب ..

ولالطائرة (عزت) ..

لم يعد هناك أدنى أثر ..

★ ★ ★

- بالداخل .. لقد وضعناه في حجرة الاستجوابات ، ولكن ..

قاطع (حسن) ، في شيء من العصبية :

- ولكن ماذا !؟

أجابه العقيد في صرامة :

- ولكنني لست أدري ما علاقة المخابرات العامة بالأمر ..
إننا جهة عسكرية ، والمفترض أن نتعامل مع المخابرات
الحربية وحدها .

أجابه (حسن) في شيء من الخشونة :

- إنها قضية أمن قومي يا رجل ، ورجال المخابرات
الحربية يعلمون أننا سنتولى الأمر هذه المرة ، وهم يتفهمون
أسبابنا .

وصمت لحظة ، ثم أضاف بصلاية متوترة :

- ويمكنك القول إنه هناك عامل شخصي .

ردّد العقيد في دهشة :

- شخصي !؟

سأله (حسن) في صرامة :

- قل لي : كيف يمكننا أن نراه !؟

٢- العودة ..

السادس من أكتوبر ١٩٩٣ م ..

السادسة والنصف مساءً ..

قطع (حسن فهمي) ، ضابط المخابرات المصري ذلك
الممر الطويل ، في خطوات واسعة سريعة ، أقرب إلى العدو ،
ومساعدته (رأفت) يعدو خلفه ، هاتفاً :

- مهلاً ياسيد (حسن) .. لا داعي للعجلة .. الرجل في
قبضتنا بالفعل .

تجاهله (حسن) تماماً ، وهو يسرع الخطى ، حتى بلغ
ضابطاً من ضباط سلاح الطيران المصري ، برتبة عقيد ،
استقبله متسائلاً في توتر :

- السيد (حسن فهمي) .

صافحه (حسن) في توتر مماثل ، قائلاً :

- هو أنا .. قل لي : أين هو !؟

أشار العقيد بيده ، مجيباً :

زفر العقيد ، فى عصبية واضحة ، وهو يجيب :

- يمكنك أن تلتقى به مباشرة ، أو تلقى عليه نظرة أولاً ،
عبر النافذة ذات الزجاج المزدوج الانعكاس ، فى الحجرة
المجاورة .

مدّ (حسن) يده فى لهفة ، نحو مقبض الحجرة ، التى
يحتجزون فيها الرجل ، إلا أن يده تجمّدت قبل أن تلمسها
بلحظة ، وبدت عليه علامات تفكير عصبية لبضع لحظات ،
قبل أن يعيد يده إلى جواره ، قائلاً :

- فلنلق عليه نظرة أولاً .

قاده العقيد إلى الحجرة المجاورة ، قائلاً :

- فليكن .. تفضلاً .

تردّد (حسن) لحظة ، عند باب الحجرة المجاورة ،
فدفعه مساعده (رأفت) فى رفق ، وهو يغمغم :

- هيا يا سيّد (حسن) .

ودلف (حسن) إلى الحجرة ..

كان قلبه يخفق فى عنف ، وعيناه تدوران فى
الحجرة الصغيرة شبه المظلمة ، وكأنما يتجنب النظر إلى
الحجرة الأخرى ، عبر الزجاج المزدوج ، الذى ينقل
الرؤية فى اتجاه واحد فقط .

وقال العقيد فى حزم ، وهو يشير إلى نافذة الزجاج
المزدوج :

- ها هو ذا .

وبصعوبة ، أدار (حسن) وجهه إلى الزجاج ، وألقى
نظرته الأولى ..

وبعنف ، سرت فى جسده قشعريرة باردة كالثلج ، وعيناه
تتسعان عن آخرهما ، وهو يحدّق فى ذلك الجالس فى
الحجرة المجاورة ..

كان شاباً ، فى أواخر العشرينات من العمر ، عصبى إلى
حد ملحوظ ، وهو يدير عينيه فيما حوله ، فى توتر بالغ ،
وهو يرتدى زياً من أزياء الطيارين ، عتيق الطراز ، على
نحو لم يعد مستخدماً ، إلا فى بعض دول الاتحاد الروسى
القديم .

وبكل دهشته وذهوله واستنكاره ، هتف (حسن) :

- مستحيل !

اتسعت عينا (رأفت) ، للطريقة التي أطلق بها رئيسه هتافه ، في حين التفت العقيد إلى (حسن) ، متسائلاً في دهشة :

- هل تعرفه !؟

بدا صوت (حسن) أكثر شحوباً من وجهه ، وهو يقول :

- ربما .

بدت الإجابة مبهمة عجيبة ، وخاصة بعد أن عجزت قدما (حسن) بعدها عن حمله ، فتهاوى على أقرب مقعد إليه ، وهو يردد :

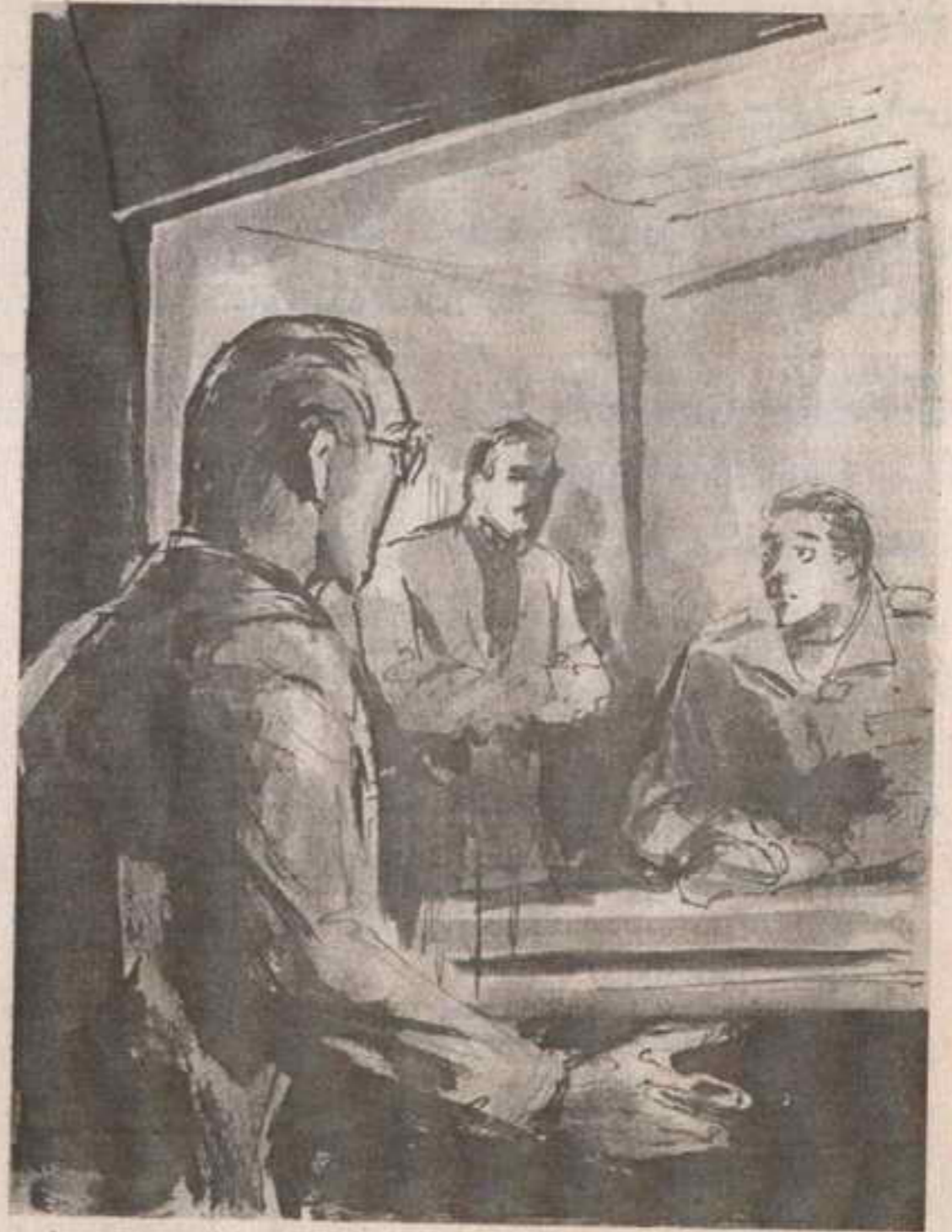
- ولكن كيف !؟ كيف !؟

قال العقيد في دهشة :

- ماذا تعنى بكيف هذه !؟

رفع (حسن) عينيه إليه بحركة حادة ، وهو يسأله بحزم مباغت :

- ماذا حدث بالضبط !؟



وبعنف ، سرت في جسده قشعريرة باردة كالثلج ، وعيناه تتسعان عن آخرهما ، وهو يحدق في ذلك الجالس في الحجرة المجاورة .

جذب العقيد مقعدًا ، وجلس قبالة ، قائلاً :

- كان هذا في الثانية وسبع وعشرين دقيقة بالتحديد ،
عندما ظهرت طائرته بغتة ، على شاشات الرادار ، في
سماء (سيناء) .. لقد أدهشنا هذا بشدة ، خاصة وأننا لم
نلتقطه وهو يعبر مجالنا الجوى .

غمغم (حسن) :

- بالتأكيد .

انعقد حاجبا (رأفت) في توتر ، في حين تجاهل العقيد
هذا التعليق ، وتابع بنفس الاهتمام :

- لقد قمنا بالاتصال به لاسلكيًا على الفور ، وطلبنا منه
تحديد هويته ، ولكنه استنكر هذا بشدة ، وتحدث كما لو أنه
ذو هوية معروفة ، بل وادّعى أنه أحد طيارينا ، وطلب
الإذن بالعودة إلى القاعدة .

اعتدل (حسن) ، يسأله بصوت مختنق :

- وماذا فعلتم !؟

أجابه العقيد في سرعة :

- الإجراءات الطبيعية .. أرسلنا مقاتلتين لمحاصرته ،
وإجباره على الهبوط حيث نريد .. ولقد تصرف بعصبية
شديدة مع مقاتلتينا ، وبدا وكأنه سيشتبك معهما ، لولا أنه
كشف نفاذ ذخيرته تمامًا .

غمغم (حسن) بصوت مبحوح :

- ربما لأنهما من طراز (فاتتوم) .

بدت الدهشة أكثر على وجه العقيد وصوته ، وهو يقول :

- وماذا في هذا !؟ معظم طائرات أسرابنا اليوم من
طراز (الفانتوم) ! هذا أمر طبيعي .

تراجع (حسن) في مقعده ، متممًا :

- ليس بالنسبة إليه .

انعقد حاجبا (رأفت) أكثر ، في حين هتف العقيد في
حدة :

- لست أفهم شيئًا .

زفر (حسن) زفرة ملتهبة ، وهو يشير بيده ، قائلاً :

- لا عليك .. واصل قصتك يا رجل .

مط العقيد شفتيه ، وهز كتفيه في حلق ، وهو يقول :

- لاشيء .. لقد أجبرناه على الهبوط في مطار (الماظة)
الحربى ، ولقد بدا شديد العصبية والتوتر ، وهو يغادر
طائرته (الميج) ، وتساءل : هل احتل الإسرائيليون
(القاهرة) ؟!

وعندما أجبناه بالنفى ، تضاعف ارتباكك ، وبرزت حيرته
أكثر وأكثر ، وراح يردد أنه طيار مقاتل مصرى ، برتبة
نقيب ، وحدد رقم واسم سربه ، ولكننا لم نجد له أى أثر
في سجلاتنا كلها .

غمغم (حسن) :

- لقد راجعتم سجلاتكم الحديثة فحسب .

قال العقيد فى عصبية :

- هذا أمر طبيعى .

أشار (حسن) إليه بسبابته ، قائلاً :

- وهنا يكمن الخطأ .

هتف العقيد فى حدة :

- أى خطأ ؟!

زفر (حسن) مرة أخرى ، ونهض من مقعده ، ودس
يديه فى جيبى سرواله ، وهو يتجه نحو النافذة ذات الزجاج
المزدوج ، وتطلع لدقيقة كاملة إلى ذلك الجالس فى الحجرة
الأخرى ، قبل أن يسأل فى اهتمام :

- وماذا عن الطائرة ؟!

أجابه العقيد فى سرعة ، وكأنما يريحه الانتقال إلى تلك
النقطة :

- طائرة (ميج) سوفيتية ، من ذلك الطراز ، الذى كنا
نستخدمه منذ عشرين عاماً ، أيام حرب أكتوبر .. ما زالت
لدينا بضع طائرات من ذلك الطراز ، ولكن حالتها ليست
بجودة حالة طائرته ، التى تبدو وكأنها لم تستخدم منذ
زمن طويل .

سأله (حسن) :

- وماذا عن الصندوق الأسود لطائرته ؟!

أجابه العقيد :

- الطائرة كلها تخضع للفحص الآن ، بما فى ذلك صندوقها
الأسود وسينبنا الخبراء بما يجدونه على الفور .

صمت (حسن) طويلاً مرة أخرى ، وهو يتأمل الشاب
في الحجرة المجاورة ، ثم لم يلبث أن تساعل في خفوت :
- كم كان يحوى خزائنها من وقود !؟

أجابه العقيد فوراً :

- حوالى الثلث .. وبالمناسبة إنه وقود عتيق الطراز
أيضاً ، من النوع المستخدم في حرب أكتوبر ١٩٧٣ م .

وصمت لحظة بدوره ، ثم استدرك في اهتمام :

- ولم تكن هناك أية ذخائر .. لاصواريخ ، أو حتى طلقات
للمدفع .

انعقد حاجبا (حسن) في شدة ، وهو يغمغم :

- عجباً !

لثوان أخرى ، غلفهم الصمت التام ، وثلاثتهم يتطلعون
إلى الجالس في الحجرة المجاورة ، عبر الزجاج المزدوج ،
قبل أن يغمغم (حسن) في حزم :

- فليكن !

ثم التفت إلى مساعده (رأفت) ، مضيفاً :

- ابدأ في استجوابه الآن .

هتف (رأفت) في دهشة :

- أنا !؟

أجابه في صرامة :

- لماذا تصوّرتنى اصطحبتك إذن !؟

سأله العقيد هذه المرة في حيرة :

- ولماذا لاتستجوبه أنت !؟

صمت (حسن) بضع لحظات ، قبل أن يقول في حزم

صارم :

- سأدخر المواجهة كإجراء أخير .

وعاد يدير عينيه إلى (رأفت) مضيفاً :

- ماذا تنتظر !؟ هيا ..

تنهد (رأفت) ، ورفع كفيه وخفضهما في استسلام ،

قائلاً :

- كما تأمر يا سيّد (حسن) .

قالها ، وغادر المكان ، ولم تمض لحظات ، حتى رآه
(حسن) يدلّف إلى الحجرة المجاورة ..

وفي أعماقه ، وعلى الرغم من تماسكه ظاهرياً ، غمغم
(حسن) :

- مستحيل !

فما يراه أمامه كان مذهلاً بالفعل ..

وبكل المقاييس .

٣ - الشق ..

كل شيء يبدو هادئاً ساكناً ، في تلك الساعة من النهار ،
في المنطقة الجبلية المقفرة ، جنوب غرب مدينة (قنا) ..

ولكن هذا السكون كان يخفي الكثير ..

فبين الصخور الضخمة المتناثرة ، في تلك المساحة
المكشوفة الواسعة ، كان يكمن رجال مكافحة المخدرات ، في
انتظار وصول بعض المهربين ، بناء على معلومات سابقة ..

كلهم كانوا يلتزمون الصمت التام ، وعيونهم تلتصق كعيون
الصفور ، وسط الظلام ورائحة الجبل ، و ...

وفجأة ، حدثت تلك الهزة الأرضية ..

هزة مباحثة ، تبلغ ما يقرب من الدرجات الخمس بمقياس
(ريختر) (*) ، استغرقت ثلاث ثوان فحسب ..

(*) مقياس (ريختر) : نظام لقياس شدة وقوة الهزات الأرضية ، ابتكره
الجيولوجي الأمريكي (تشارلز ريختر) ، عام ١٩٣٥م ، وتم تطويره على مدار الزمن ،
وهو يقيس الطاقة الناجمة عن بؤرة الزلزال ، مع وضع بعض العوامل المهمة في
الاعتبار ، مثل نوعية وقوة الصخور بالمنطقة ، وطبيعة استجابتها للهزات الأرضية ..

ولكن تأثيرها كان عنيفاً للغاية ..

فمع انبعاثها المباغت ، خرج بعض رجال الشرطة من
مكامنهم ، وانكشف الكمين ، وفسدت الخطة كلها ، وسارع
المهربون بالفرار والاختفاء ..

وبكل الحنق والغضب ، هتف الرائد (يحيى) :

- هذا ما كان ينقصنا .. شهران من الإعداد والتخطيط
والتدريب ، ثم تتحرك الطبيعة في موعد غير مناسب ،
فتفسد كل شيء ..

زفر النقيب (رفعت) ، مغمغماً :

لأحد يمكنه الوقوف في وجه الطبيعة .. ربما كان الخير
في فشل المهمة هذه المرة .

هتف الرائد (يحيى) :

- أي خير؟! هؤلاء المجرمون يفسدون أجيالاً كاملة
بسمومهم البيضاء تلك ، وفشلنا في الإيقاع بهم اليوم يعنى
وقوع المزيد من ضحاياهم ، في الأيام القادمة .

ربت النقيب (رفعت) على كتفه ، قائلاً :

- من يدري؟! ربما أصابهم ما حدث اليوم بالذعر ،
فتوقفوا عن ترويح تلك السموم لبعض الوقت .

قال (يحيى) فى مرارة عصبية :

- لو أنهم يفقهون لما ..

قاطعته أحد الجنود وهو يهرع إليه بأنفاس لاهثة ،
هاتفاً :

- سيادة الرائد .. يبدو أن ..

صاح به (يحيى) ، مقاطعاً فى حدة :

- ماذا هناك؟!!

بدا صوت الجندى مرتجفاً كجسده ، وهو يشير بيده ،
مجيئاً :

- شق يا سيادة الرائد .. الزلزال صنع شقاً فى أرض
الجبل .

انعقد حاجبا الرائد (يحيى) وهو يرمى بصره إلى حيث
يشير الجندى ، مردداً :

- شق؟!!

من موقعه لمح شيئاً أشبه بدخان كثيف أحمر اللون ،
يتصاعد من بقعة ما ، على مسافة ستة أمتار منه ، في
منتصف المنطقة المنبسطة تقريباً ..

وفي شيء من الحذر ، لم يدر سببه ، اتجه مع النقيب
(رفعت) نحو ذلك الشق .

ولم يدر لماذا شعر في أعماقه بذلك الخوف المبهم ، وهو
يتجه نحو الشق الصغير ، الذي لا يزيد طوله على نصف
المتر ، واتساعه عن عشرة سنتيمترات على الأكثر ..

ولكنه ذلك الدخان المتصاعد منه حتماً ..

دخان كثيف ، أحمر ، يبدو أشبه بدماء متبخرة أو بدخان
ينزف دماً ، أو ...

« ما هذا بالضبط ؟! » .

قطع سؤال النقيب (رفعت) تلك الأفكار العجيبة ، من
التداعي في رأسه ، فهزّ يده بشيء من العصبية ، مجيباً :
- مجرد شق أحدثه زلزال .

ردّد النقيب (رفعت) ، في دهشة مستنكرة :

- مجرد شق ؟!

ثم استدرك هاتفاً :

- وهذا الدخان العجيب ؟!

تطلع الرائد (يحيى) إلى الدخان مرة أخرى ، في حيرة
تمتزج بنفس الخوف المبهم العجيب ، قبل أن يهزّ رأسه
قائلاً :

- لست أدري .

نطقها ، وحدق في الدخان مرة أخرى ، وخيّل إليه أنه
يكاد يتشكل في هيئة ما ، أو ..

« هل نبلغ الوزارة ؟! »

مرة أخرى ، قاطعه سؤال النقيب (رفعت) ، فأجاب في
عصبية :

- بالتأكيد .

ثم انتزع نفسه انتزاعاً ، من أمام الشق ، وابتعد عنه
في خطوات سريعة ، وهو يضيف ، وقد تضاعفت عصبيته ،
على نحو غير مفهوم :

- اترك (لطفى) و (عبد الرازق) لحراسة المكان ،
ولنعد كلنا إلى (قنا) .. هيا .

لم يكذ يلقى الأمر ، حتى اتسعت عيون الجنديين المكلفين
في ارتياح ، فصاح بهما النقيب (رفعت) فى صرامة :

- ماذا دهاكما؟! إنكما ستحرسان المكان لبضع ساعات
فحسب ، وسنرسل لكما كل ما تحتاجان إليه من طعام وأغطية ..
إننا فى وضح النهار ..

وعلى الرغم مما قاله ، فما إن انطلقت بهم السيارات ، عائدة
إلى تمدينة ، وتاركة الجنديين خلفها ، حتى أدرك أنه ، ولسبب ما ،
لا يشعر بالارتياح لما يحدث ..

لا يشعر بالارتياح أبداً ..

* * *

أول ما تفجر فى أعماق (رأفت) ، عندما دلف إلى حجرة
الاستجواب ، هو شعور عجيب بالإشفاق ، على ذلك الشاب ،
الذى يرتدى زى الطيارين القديم ، والذى هبَّ من مقعده بحركة
حادة فور دخوله ، وتراجع كمن يواجه خطراً مخيفاً ، هاتفاً :

- من أنت؟! ماذا تريد منى؟!!

أشار إليه (رأفت) ، قائلاً :

- اهدأ يا رجل .. اهدأ .. أنا هنا لأتحدث معك فحسب .

بدا مزيج من التردد والتوتر ، على وجه الشاب ، وهو
يقول فى عصبية :

- ولكن أين نحن؟! لماذا تغيّر كل شىء على هذا النحو؟!
لماذا تبدو الأمور مختلفة؟! لماذا؟! لماذا?!!

أشار إليه (رأفت) مرة أخرى ، وهو يقول :

- اجلس واهدأ أولاً ، ودعنا نطرح أسئلتنا ، ثم نجيب
كل أسئلتك .

تردد الشاب لحظة ، ثم لم يلبث أن جلس أمامه ، وقال
فى حزم صلب :

- لن تحصل منى على أية معلومات ، تخص وحدتى
أو بلدى .

ابتسم (رأفت) ، قائلاً :

- إنها بلدنا أيضاً يا رجل .

سأله الشاب فى تردد :

- حقاً؟!!

كان السؤال يحمل قدرًا هائلًا من الحيرة والتوتر ، إلا أن
(رأفت) تجاهل جوابه تمامًا ، وهو يسأله :

- ماذا حدث بالضبط !؟

تنهّد الشاب ، قائلاً :

- لقد .. لقد أسقطت الطائرة الرابعة .

مال (رأفت) إلى الأمام ، متسائلاً :

- ثم ماذا !؟

هزّ الشاب رأسه ، وكست الحيرة ملامحه ، وتلك النظرة
المطلّة من عينيه ، وهو يقلب كفيه ، مجيباً :

- لست أدري .. تلك الكتلة البرتقالية ظهرت فجأة ،
واصطدمت بالطائرة الخامسة ، في نفس اللحظة التي أطلقت
فيها صاروخي نحوها ، ثم .. ثم .. ثم ..

هتف به (رأفت) في فضول :

- ثم ماذا !؟

هزّ الشاب رأسه في قوة وهو يجيب :

- لست أدري .. لقد ارتطمت أنا أيضاً بتلك الكتلة
البرتقالية ، ولكن الارتطام كان أشبه بما يحدث ، لو أنك
قفزت على وسادة ضخمة من الإسفنج الطرى .. وقبل أن
أدرك ما حدث ، وجدت نفسي أخترقها ، واصطبغ كل
شيء حولي باللون البرتقالي ، وبدا وكأن .. وكأنني داخل
مخ ضخم .

هتف (رأفت) بدهشة بالغ :

- مخ !؟

أوما الشاب برأسه إيجاباً في قوة ، وقال :

- نعم .. مخ بشري ، بخلاياه وتلافيفه .. تماماً كما كنا
نراه في كتب العلوم في المرحلة الثانوية .. مخ اخترقته
طائرتي ، و ...

صمت لحظة ، اتعقد خلالها حاجباه ، وكأنما يحاول اعتصار
المعلومات من ذهنه ، قبل أن يتابع ، في شيء من الحذر :

- وخرجت منه .

سأله (رأفت) في سرعة :

- متى !؟

- شاركت في الضربة الجوية الأولى ، يوم السادس من أكتوبر ، عام ١٩٧٣ م ، تحت كود (نسر - ٦) ، وبعد الحرب ..

قاطعته الشاب في حدة :

- بعد الحرب؟! ماذا تعنى ببعده الحرب هذه؟! من المستحيل أن تنتهى حربنا مع العدو الإسرائيلي بهذه السرعة .

ارتفع حاجبا (رأفت) ، وهو يهتف :

- سرعة؟! الحرب انتهت منذ زمن طويل يا رجل ، وملفك هذا محفوظ هنا منذ ذلك الحين ..

هتف الشاب في زعر مستنكر :

- ملفى محفوظ .

نطقها ، وهباً من مقعده في حدة ، صائحاً :

- ما الذى تريد أن تقنعنى به بالضبط؟! لماذا تتحدث بهذا الأسلوب؟! ما الذى تريد قوله بالتحديد؟!!

فتح (رأفت) الملف ، ووضعها على سطح المنضدة ، وهو يقول في حدة مماثلة :

تطلع إليه الشاب فى دهشة ، مجيباً :

- فوراً بالطبع .

مطّ (رأفت) شفتيه ، وتراجع فى مقعده ، ولوّح بالملف الذى كان يحمله منذ دخوله قاتلاً :

- هناك خطأ فى هذه الأوراق إذن .

تطلع الشاب إلى الاسم المدوّن على الملف ، وهتف فى توتر :

- إنه ملفى .

أجابه (رأفت) وهو يفتح الملف :

- بالضبط .. وملفك هذا يقول إن اسمك (عزت محمد عبد الرحمن شاهين) ، الشهير بـ (عزت شاهين) .. كنت طياراً مقاتلاً ، فى القوات الجوية المصرية .

هتف الشاب مستنكراً :

- كنت؟!!

تابع (رأفت) ، وكأنه لم يسمعه :

- أريد أن أقول : إن هذا هو موقفك الرسمي الآن .

حدق الشاب في صورته داخل الملف ، وفي الختم الكبير إلى جوارها ، والذي يحمل كلمة واحدة ، كادت تزلزل كيانه ، وهو يرددّها صارخاً :

- مفقود !؟

أجابه (رأفت) في صرامة :

- ومنذ عشرين عامًا .

اتسعت عينا الشاب عن آخرهما ، وتراجع كالمصعوق ، حتى ارتطم ظهره بالجدار ، وهو يردد بكل هلع الدنيا :

- مفقود !؟ منذ عشرين عامًا !؟ ماذا تقول يا هذا !؟

إنها ليست حقيقة .. إنه كابوس .. كابوس بشع ..

أتاه صوت من مدخل الحجرة ، يقول في حزم :

- هناك وسيلة واحدة لحسم الأمر .

استدار الشاب في حدة ، إلى مصدر الصوت ، وحدق في ذلك القادم الجديد لحظة ، قبل أن يهتف بارتياح أكبر :

- من .. من أنت !؟ إنك تشبه صديقي (حسن) ، ولكنك ..

ولكنك ...

لم يمهل (حسن) لإتمام عبارته وإنما اندفع نحوه ، وأمسك يده اليسرى ، ورفعها إلى عينيه ، وحدق لحظة بنظرة عجيبة



للغاية ، في ذلك الجرح الحديث ، في سبابة يد الشاب ، والذي لم يبدأ حتى في تكوين جلطة الاندمال الأولية ، ثم أفلت اليد ، ورفع يده هو أمام الشاب ، وأشار إلى جرح سبأته ، الذي اندمل منذ عشرين عامًا كاملة ، وهو يقول بلهجة غلبها تأثر واضح :

- ولكنني أكبر سنًا .. أليس كذلك!؟

واتسعت عينا (عزت) عن آخرهما ، وهو يحدث في
وجه صديقه القديم ..

لقد كان لقاءً مذهباً ..

ومستحيلاً ..

تماماً .

★ ★ ★

٤- لغز الألفاز ..

انعقد حاجبا الرائد (يحيى) ، في توتر شديد ، عندما
وصلت به السيارة ، التي تقلّ مأمور الناحية ، ومهندس
مصلحة المساحة ، إلى موضع الشق ، وهتف في غضب ،
وهو يدير عينيه فيما حوله :

- أين (لطفى) و (عبد الرازق)؟! كيف غادرا المكان ،
على الرغم من الأوامر!؟

غمغم المأمور بقلق ، ونظره معلق بالدخان الأحمر
الدموي ، الذي بدا كثيفاً على نحو كبير ملحوظ :

- ربما يقضيان حاجة هنا أو هناك .

هتف (يحيى) مستنكراً :

- معاً .

توقفت السيارة في تلك اللحظة ، على مسافة عشرة
أمتار من الشق ، فغادرها مكملاً في عصبية :

- سيدفعان ثمن هذا غالباً .. سوف ..

برتقالي عجيب ملحوظ ، على الرغم من أن الشمس لم
تغرب تمامًا بعد ..

وفي دهشة تحمل رنة زعر ، قال المأمور :

- أعتقد أنه من الأفضل أن نبلغ المسئولين في (القاهرة) ..
من الواضح أن الأمر يفوق قدراتنا بكثير .

أوماً (يحيى) برأسه ، قائلاً :

- نعم .. أعتقد هذا .

نقل المهندس بصره بينهما لحظة ، ثم انفرجت شفتاه ،
وكانما يهم بقول شيء ما ، و ...

وفجأة ، انعقد حاجباه في شدة ، واستدار يحدق في
الشق ، هاتفاً :

- هل سمعنا هذا ؟!

سأله المأمور ، في دهشة حائرة :

- سمعنا ماذا ؟!

أجابه كالمأخوذ :

- النداء .

بتر عبارته بغتة ، عندما لمح بندقية أحد الجنديين ،
ملقاة إلى جوار الشق ، فاكتسب صوته رنة متوترة ، وهو
يشير إليها ، قائلاً :

- ما الذي يعينه هذا بالضبط ؟!

قبل أن يجيب أحد سؤاله ، انطلقت شهقة قوية من حلق
مهندس المساحة ، وهو يهتف :

- وتقولون إنه شق صغير ؟!

دفع (يحيى) قدميه دفعا ، إلى حيث يقف المهندس مع
المأمور ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، بدهشة لا محدودة ..

لقد اتسع الشق ..

اتسع بشدة ..

طوله الآن لا يقل عن أربعة أمتار ، وعرضه يبلغ نصف المتر
على الأقل ، والدخان الذي يتصاعد منه صار أكثر كثافة على
نحو مخيف ، على الرغم من أنه يتلاشى بسرعة ، دون
أدنى أثر ، على ارتفاع متر واحد من سطح الأرض ..

أما أعماق الشق ، فقد كانت مضيئة متوهجة ، بلون

تبادل المأمور والرائد (يحيى) نظرة دهشة عارمة ،
قبل أن يغمغم الثانی فی حيرة بلا حدود :

- أي نداء !؟

اتجه المهندس نحو الشق كالمسحور ، وهو يجيب :

- نداؤهم .. هؤلاء فی الأعماق .. إنهم ينادوننى .

اتسعت عينا المأمور عن آخرهما ، وراح يردد فی توتر
لامحدود :

- لا بد أن نبلغ (القاهرة) .. لا بد أن نبلغ (القاهرة)
فوراً .

أما الرائد (يحيى) فقد اندفع نحو المهندس ، وهتف به :

- انتظر يا هذا .. لا تقترب من هذا الشق .

استدار إليه المهندس بحركة حادة ، جعلته يتجمد فی
مكاته ، ثم قال بلهجته العجيبة المأخوذة ، وعينيه الزائغتين
الشاردتين :

- لا بد أن أذهب .. لا يمكننى إلا ألبى النداء .

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠) ٢٠٣

ثم عاد يلتفت إلى الشق ، ورفع ذراعيه بمستوى كتفيه ،
هاتفاً :

- أنا قادم ..

وثب (يحيى) نحوه ، صائحاً :

- لا .. لا تفعل .

خيل إليه لحظة أن الدخان الدموي قد تحول بغيته إلى
قبضة دخانية ، أحاطت بالمهندس المسكين ، ثم جذبته فى
عنف ، ليختفى جسده فى الشق تماماً ..

ومع اختفائه ، تألق الشق أكثر وأكثر ، بذلك الوهج
البرتقالي المخيف ..

ثم اتسع الشق كله بغيته ..

اتسع ليبلغ طوله ستة أمتار ، وعرض ما يزيد على
الثمانين سنتيمتراً ..

ومع اتساعه ، تراجع (يحيى) كالمصعوق ، فى حين
أطلق المأمور شهقة قوية ، قبل أن يصرخ :

- لا بد أن نبلغ (القاهرة) فوراً .

وكان على حق في ارتياعه هذا ؛ فما يراه رهيب ..
رهيباً بحق ..

* * *

« لم نعثر على حطام طائرتك أبداً .. »

نطق (حسن) العبارة في تردد ، وهو يتطلع إلى (عزت) ،
الذي لم يفارقه ذهوله بعد ، والذي ردد بلهجة أقرب إلى
الشرود :

- حقاً ؟!

تابع (حسن) :

- لقد رأيت ما حدث بعيني .. رأيت طائرتك تغوص في
قلب ذلك الكيان الهلامي البرتقالي .. ثم لم يعد هناك أثر
لأى شيء .. ولقد ذكرت هذا في تقريرى الرسمى ، عندما
لم تعد من الضربة الأولى ، ولكن الحرب كانت قد اشتعلت
بالفعل ، وتطوّرت بسرعة ، ولم يبال أحد ، فى خضمّ
القتال ، برويا غير مؤكدة كهذه .

ترقرقت عينا (عزت) بدموع ثائرة ، اتحبست خلف أسوار
كبريائه ، ولكنها أهلت مع ارتجافة شفثيه ، وهو يسأل :

- كم مضى من وقت .

ازدرد (حسن) لعابه ، مجيباً فى حذر :

- عشرون عاماً .

انتفض جسد (عزت) فى عنف ، واتسعت عيناه فى
ارتياح بلا حدود ، وهو يصرخ :

- عشرون ؟!

ثم هز رأسه فى قوة ، مضيفاً :

- مستحيل ! إنها مجرد لحظة بالنسبة لى .. لحظة
اخترقت خلالها شيئاً ما ، ثم خرجت منه .. مجرد لحظة .

وهب من مقعده فى حدة شديدة ، صائحاً :

- لا .. مستحيل ! لا يمكن أن يحدث هذا .. إنه مجرد
كابوس .. كابوس بشع .

اقترب منه (حسن) فى حذر ، وربّت على كتفه ، قائلاً :

- بل حقيقة يا صديقى .. حقيقة .. صحيح أنها مذهلة ،

مذهلة ، مخيفة ، وتبدو أشبه بروايات الخيال العلمى ..
إلا أنها حقيقة .

ردد (عزت) فى مرارة :

- عشرون عامًا .. يا إلهى ! يا إلهى !

ثم رفع عينيه إلى (حسن) بحركة حادة ، متسائلًا :

- ولكن من فعلها .

بدت حيرة متسائلة فى عينى (حسن) ، فأضاف

(عزت) فى انفعال :

- من انتصر فى حرب أكتوبر؟! من؟!

ارتفع رأس (حسن) وارتسمت على شفتيه ابتسامة

مزهوّة ، وهو يجيب :

- نحن .

تألقت عينا (عزت) ، وهو يهتف :

- مرحى .

ثم عاد يسأل فى لهفة :

- هل استعدنا (القدس)؟!

تلاشت ابتسامة (حسن) وهو يجيب :

- إنهم يتفاوضون من أجل هذا يا صديقى .

هتف (عزت) مستنكرًا :

- يتفاوضون!؟

عادت ابتسامة (حسن) باهتة ، وهو يقول :

- إنها عشرون عامًا يا صديقى ، ولقد تغيرت أمور

كثيرة ، وتطوّرت أمور أخرى ، و ...

قبل أن يتمّ عبارته ، تراجع (عزت) بحركة حادة ،

واتسعت عيناه عن آخرهما ، فى ارتياح مخيف ، فارتبك

(حسن) ، وقال :

- الأمر ليس بهذا السوء يا رجل .. لقد استعدنا (سيناء)

كلها ، و ...

قاطعه (عزت) ، وهو يهتف :

- النداء .

ردد (حسن) مبهوتًا :

- النداء؟! أى نداء!؟

اتجه (عزت) نحو باب الحجرة ، وبدا مأخوذاً مسحوراً ،
وهو يردد :

- إنهم ينادوننى .. لا بد أن أذهب .. لا بد .

هتف (حسن) ، وهو يعترض طريقه :

- تذهب !؟ إلى أين !؟

وانعقد حاجباً (رأفت) بشدة ، مع مظهر (عزت)
العجيب ، وهو يواصل طريقه ، وكأنما لا يرى (حسن) ،
ويواصل ترديده :

- لا بد أن أذهب .. لا بد .

أمسك به (حسن) فى قوة ، قائلاً :

- لن تذهب إلى أى مكان .

ارتفعت يدا (عزت) بغتة ، فى سرعة مدهشة ، وقبض
على ذراعى (حسن) ، ورفع هذا الأخير عن الأرض فى
خفة ، على الرغم مما يتمتع به من قوة ومرونة ، ثم ألقاه
جانباً فى عنف ..

وفى نفس اللحظة ، التى ارتطم فيها جسد (حسن) بالأرض ،

استل (رأفت) مسدسه فى سرعة ، واقتحم العقيد وجنوده
الحجرة ، و ...

« لا تطلقوا النار » .

صرخ (حسن) بالعبرة ، وهو ينهض فى سرعة ولهفة ،
ولكن (رأفت) صاح ، وهو يجذب إبرة مسدسه فى حزم :

- إنه يسعى للفرار .

أمسك (حسن) معصمه فى قوة ، صائحاً :

- قلت : لا تطلقوا النار .

كان (عزت) يواصل طريقه بنفس الشرود والآلية ،
وكانما لا يشعر بكل ما يدور حوله ، فانعقد حاجباً العقيد ،
وأشار إلى رجاله ، قائلاً فى صرامة :

- نريده حياً .

انقض جنديان على (عزت) ، فكبل أحدهما ذراعيه فى
حين دار الثانى حوله فى سرعة ، ولكن (عزت) انتزع
الجندى من خلفه بقوة مذهلة ، وضرب به الجدار فى عنف ،
وهو يهتف :

- لا بد أن ألبى النداء .

وبضربة فنية مدروسة ، هوى الجندي الآخر على مؤخرة
عنق (عزت) بكعب مدفعه الآلى ، فزاغت عينا هذا الأخير
أكثر ، ثم هوى أرضاً كالحجر ..

وبكل دهشته وحيرته ، هتف (حسن) :

- ماذا حدث؟! يا إلهي! ماذا حدث!؟

لم يدر أنه ، وفي نفس اللحظة التى نطق فيها عبارته ،
كان الدخان الدموى ، المتصاعد من ذلك الشق فى جبال
(قنا) ، يتموج فى عنف ، وكأنما يعلن غضبه وثورته ..

أما الشق نفسه ، فقد كان يتسع ..

ويتسع ..

ويتسع ..

بلا حدود .

* * *

٥- الخوف ..

« أمر غير معقول على الإطلاق .. » .

نطق مدير المخابرات بالعبارة فى توتر ، وهو يعقد
كفيه خلف ظهره ، متطلعاً عبر نافذة حجرته الواسعة ،
قبل أن يطلق من أعماق زفرة حارة ، مستطرداً :

- طيار تختفى طائرته منذ عشرين عاماً ، دون أن تترك
خلفها أدنى أثر ، ثم تعود للظهور فجأة ، وهو بداخلها ،
لم يكبر يوماً واحداً ، ولم يلتئم جرح سبأيته بعد ! يالها من
قصة ! إنها أشبه بروايات الخيال العلمى ، ومهاترات السفر
عبر الزمن .

زفر مرة أخرى ، قبل أن يلتفت إلى (حسن) متسائلاً :

- هل فحصتم كل الوثائق!؟

أوماً (حسن) برأسه إيجاباً ، وقال :

- إنه (عزت) الذى أعرفه ، وليس شخصاً ينتحل
شخصيته .. لقد راجعنا بصماته ، وبيانات طائرته ،
وحالتها .

تساعل مدير المخبرات :

- ثم ؟!

واصل (حسن) :

- ليس هناك أدنى شك .. ربما تعجز عقولنا عن إدراك ما حدث أو استيعابه ، ولكن (عزت) قفز عشرين عاماً في لحظة واحدة ، وعاد إلينا .

زفر المدير للمرة الثالثة ، متمماً :

- سبحان الله العليّ القدير .

قال (حسن) ، وصوته يحمل توترًا ملحوظًا :

- السؤال الآن هو ماذا ينبغي أن نفعل ؟! إنه هنا .. في زمننا الحالي ، ومن الواضح أن عقله مصاب بلوثة ما ، لا يمكننا تفسيرها .. إنهم مازلوا يحتفظون به ، في مطار (ألماتة) الحربى ، فى انتظار أوامرنا ..

هزّ المدير رأسه ، قائلاً :

- بل السؤال الحقيقى هو لماذا ؟!

انعقد حاجبا (حسن) ، وهو يردد الكلمة فى دهشة :

- لماذا ؟!

أشار المدير بسبابته ، قائلاً :

- نعم يا (حسن) .. لماذا ؟! لماذا عاد (عزت) للظهور الآن ، بعد عشرين عاماً ؟!

تساعل (حسن) فى حذر :

- أتقصد كيف ؟!

أجابه المدير فى حزم :

- بل لماذا ..

ثم ربّت على كتفه ، متابعًا :

- عندما تبلغ مثل عمري ، ستتعلم قاعدة مهمة فى هذه الحياة ، ألا وهى أنه ما من شىء فى الوجود يحدث عبثًا .. الله (سبحانه وتعالى) يدير هذا الكون بدقة تعجز عقولنا كبشر عن استيعاب ذرة واحدة منها ، ومادام (عزت) قد عاد ، فهناك سبب إلهى لعودته حتمًا .

تساعل (حسن) :

- مثل ماذا ؟!

هزّ المدير رأسه ، قائلاً :

- قلت لك : إن عقولنا تعجز عن استيعاب الهدف ، ولكن
ثق بأن الأيام ستجيب هذا السؤال حتماً .. ثق بهذا تماماً .
نطقها المدير ، دون أن يدرك أن الجواب سيأتي سريعاً
بأسرع من كل تصوراته ..
كلها ..

بلا استثناء ..

اتسعت عينا الدكتور (جمال) ، أستاذ الجيولوجيا (*)
بكلية العلوم ، وهو يحدِّق في ذلك الشق ، الذي كاد يلتهم
المنطقة كلها ، على الرغم من أن كثافة الدخان الأحمر
المتصاعد منه لم تتزايد ، وظلَّت تتلاشى في الهواء ، على
ارتفاع متر واحد من سطح الأرض ..

(*) جيولوجيا : علم يبحث في أصل الأرض ، وتاريخها التركيبي والطبيعي ،
وكذلك المواد التي تتكوَّن منها ، وجميع التغيرات التي وقعت ، في أثناء تكونها
وتطورها ، وأحد فروعها يعمل على رصد التغيرات والنشاطات الأرضية ،
ودراستها ، وتحليل أسبابها ومقدماتها .



اتسعت عينا الدكتور (جمال) ، أستاذ الجيولوجيا بكلية العلوم ،
وهو يحدِّق في ذلك الشق .

وبكل دهشته ، الممتزجة بشيء من الخوف المبهم ،
قال الرجل :

- إننى لم أقرأ عن شيء كهذا قط .. إنه ليس نشاطاً
بركاتياً ، أو تغيراً جيولوجياً طبيعياً ، أو حتى أى شيء
آخر .. إنها ظاهرة غير طبيعية ، وغير معروفة .

سأله الضابط الموفد من (القاهرة) فى قلق :

- هل تعتقد أنه سيزداد مع الوقت !؟

راجع الدكتور (جمال) الأوراق التى أمدوه بها ، وعاد
يتطلع إلى الشق الضخم ، فى حيرة مذعورة ، قائلاً :

- بناء على ما ورد هنا ، لم يكن هذا الشق يزيد على
نصف المتر طولاً ، وعشرة سنتيمترات اتساعاً ، فى الثالثة
إلا عشر دقائق ، من ظهر اليوم ، وها هو ذا يبدو فى حجم
بحيرة صغيرة ، ونحن بعد فى السابعة والنصف مساءً ، وهذا
يعنى أنه لو استمر الاتساع على هذا المعدل ، فسيلتهم هذا
الشق محافظة (قنا) كلها ، خلال يوم واحد ، ثم يواصل
اتساعه ، ليلتهم (مصر) كلها خلال ثلاثة أيام على الأكثر .

حدق الضابط فى وجهه ، وهو يهتف مستنكراً :

- هل تمزح !؟

هز الدكتور (جمال) رأسه فى قوة ، مجيباً :

- مطلقاً .

اتسعت عينا الضابط فى ارتياح ، وهو يحدق فى ذلك
الشق الهائل ، بنظرة ملؤها الخوف ، قبل أن يتساعل :

- أهو رأى علمى محض !؟

أوما الدكتور (جمال) برأسه ، وقال فى حزم واثق :

- بالتأكيد .

انعقد حاجبا الضابط فى شدة ، وهو يقول :

- هذا يعنى إذن أن الأمر أخطر مما كنا نتصور .. أخطر
بكثير .. نطقها بصوت حمل نبرة غريبة ..

نبرة دهشة ، و ...

وخوف ..

* * *

« لست أذكر حرفاً واحداً من كل هذا !! »

نطق (عزت) العبارة بدهشة عارمة ، وهو يحدث في شاشة التليفزيون ، التي تعرض ما تم تصويره في حجرة الاستجوابات ، منذ بضع ساعات ، وتملكه خوف مبهم ، وهو يتساءل عما دفعه إلى هذا الهذيان ، في حين غمغم (حسن) :

- من المؤكد أن القفز لعشرين عاماً من الزمن ، في لحظة واحدة ، يؤدي إلى تغيرات كثيرة .

أدار (عزت) عينيه إليه في حركة حادة ، قائلاً :

- تقصد إلى الجنون !

صمت (حسن) لحظة قبل أن يجيب :

- علماء النفس يؤكدون أن تجربتك هذه لا بد أن تترك شيئاً من التوتر النفسى .

ردد (عزت) في مرارة :

- التوتر النفسى !؟

هز (حسن) كتفيه ، قائلاً :

- الأمر ليس هيناً .

خفض (عزت) عينيه ، وتمتم بمرارة أكبر :
- بالتأكيد .

شعر (حسن) بإشفاق وتعاطف شديدين ، تجاه صديق عمره ، الذى يبدو له وكأنه قد عاد من سبات عميق ، استغرق عقدين من الزمان ، وتطلع إليه بضع لحظات ، فى صمت مهيب ، قبل أن يسأله فى خفوت :

- ألا تذكر شيئاً مما حدث !؟

تمتم (عزت) :

- لقد أخبرتكم بكل ما أنكره .

قال (حسن) بنفس الخفوت :

- مستحيل !

رفع (عزت) عينيه إليه بحركة حادة ، قائلاً بدهشة :

- ألا تصدقنى !؟

حاول (حسن) أن يبتسم ، وهو يجيب :

- هل سبق أن كذبتك !؟

تطلع إليه (عزت) لحظة ، ثم لم يلبث أن خفض عينيه ،
متممًا :

- مطلقًا .

اعتدل (حسن) ، وتحنج ، قبل أن يقول :

- ولكن هذا لا يمنع من وجود نقطتي غموض ، لا يمكننا
إيجاد أى تفسير لهما .

سأله (عزت) فى حيرة :

- وما هما !؟

تحرك (حسن) فى الحجرة ، مجيبًا :

- الصندوق الأسود لطائرتك يؤكد إلى حد ما قصتك .

ردد (عزت) فى دهشة :

- إلى حد ما !؟

أوما (حسن) برأسه إيجابًا ، وقال :

- بالطبع ، ففى قصتك ، حدث اختراق ذلك الكيهان البرتقالى
الهلامى ، الذى مازلنا نجهل ماهيته ، فى لحظة واحدة ،

ولكن بيانات الصندوق الأسود تقول : إنك قد قضيت داخله
ما يقرب من نصف الساعة .

انتفض جسد (عزت) فى عنف ، وهو يهتف :

- نصف الساعة !؟ مستحيل !

واصل (حسن) فى اهتمام ، وهو يحاول أن يستشف
انفعالاته :

- الصندوق الأسود سجل الاختراق ، ثم سجل صمتًا
عجيبًا ، طوال نصف ساعة كاملة ، وبعدها سجل ماتلقيته ،
فور خروجك من ذلك الشيء .

اتسعت عينا (حسن) وهو يتمم :

- نصف الساعة !؟ يا إلهى ! .

شعر (حسن) بما يعانى به صديق عمره ، فمال نحوه ،
وربت على كتفه فى رفق :

- حاول أن تتذكر يا (عزت) .. حاول أن تعصر ذاكرتك
أكثر ، لتخبرنا ماذا حدث ، خلال نصف الساعة تلك !؟

بدا (عزت) مأخوذًا مذعورًا ، وهو يردد :

- مستحيل ! لا يمكن أن ..

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وخفق قلبه في عنف ..

نعم .. إنه يذكر شيئاً ..

بل أشياء ..

أشياء متخبطة ، متداخلة ، مشوشة ..

الدم .. النيران .. الدخان الأحمر .. و ...

وتلك الأشياء ..

أشياء بشعة الخلقة ، رهيبية ، مخيفة ، ترقد داخل .. داخل كبسولات من مادة هلامية عجيبة ..

ثم تلك الـ

لا .. يمكنه أن يسترجع ذلك الجزء من ذاكرته ..

لا ...

« لا .. »

انطلقت الصرخة من حلقه قوية ، والعرق ينهمر على

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠) ٢٢٣

وجهه وجسده كالمطر ، واتسعت عيناه في ارتياح مذعور ، وخوف بلا حدود ، فهتف به (حسن) في جزع :

- ماذا حدث؟! ماذا حدث يا صديقي!؟

هباً (عزت) من مقعده ، هاتفاً :

- إنهم .. إنهم هنا .

سأله (حسن) ، وقد اختلطت حيرته بذلك الخوف المبهم :

- من يا (عزت)؟! من هم!؟

اتسعت عينا (عزت) في رعب أكثر ، وارتفعت يداه في حركة عنيفة مباغتة ؛ لتكتما أذنيه ، وهو يصرخ :

- لا .. لا أريد أن أسمع ذلك النداء مرة أخرى .

تضاعف خوف (حسن) وحيرته ، وهو يمسك كتفيه ، هاتفاً :

- أي نداء يا (عزت)؟! أي نداء!؟

صرخ (عزت) ، وهو يضغط أذنيه أكثر وأكثر :

- لا .. لا أريد أن أذهب إليهم .. لا أريد .

صرخ (حسن) بدوره :

- من هم يا (عزت) ؟! من هم ؟!

اندفع طبيب المطار إلى الحجره ، فى هذه اللحظة ،
فالتفت إليه (حسن) فى حدة ، هاتفاً :

- ماذا ستفعل ؟!

أشار الطبيب بالمحقن الذى يحمله ، مجيباً :

- اطمئن .. إنه مجرد مهدئ ؛ حتى لا يتكرر ما حدث
ظهر اليوم .

وقبل حتى أن يكمل حديثه هذا ، كان قد كشف ذراع
(عزت) ، وغرس فيه إبره المحقن ..

وضغط (عزت) أذنيه أكثر وأكثر ..

كان يحاول كتمان ذلك النداء بكل قوته ..

ولكن هيهات ..

النداء كان يتردد فى كل ذرة من كياته صاخباً مدوياً ..

هذا لأنه لا يأتيه من مصدر خارجه ..

إنه ينطلق من أعماقه ..

من أعماق أعماقه ..

ولكن ذلك العقار ، الذى حقنه به الطبيب ، جعل النداء
يخفت ..

ويخفت ..

ويخفت ..

أخيراً بدأ يشعر بالارتياح ، والهدوء ، والاسترخاء ..

ومرة أخرى ، ولكن بصوت أكثر رفقا ، سأله (حسن) :

- أى نداء هذا الذى تتحدث عنه يا (عزت) ؟! ومن
هو لاء ؟!

تطلع إليه (عزت) بعينين نصف مغلقتين ، وتمتم :

- أما زال والدى على قيد الحياة ؟!

اندهش (حسن) للسؤال ، الذى أتى جواباً لسؤاله ،
وغمغم فى حيرة :

- نعم .. مازالا على قيد الحياة ، وسنبلغهما أمر عودتك

بالطبع ، و ...

ولم يجب (عزت) هذه المرة ..

فقط أغلق عينيه ، وترك نفسه يغرق في سبات عميق ،
تاركاً (حسن) خلفه ، مع طن من الدهشة والحيرة ..
بل أطنان .

★ ★ ★

قاطعه (عزت) ، وهو يمسك يده بفتة :
- كلاً .. لا تفعل .

تضاعفت دهشة (حسن) وهو يفهم :

- لا أفعل؟! ألا تريد أن تبلغ والديك أمر عودتك؟!!

ارتجفت ابتسامة متهاكمة على شفתי (عزت) ، وهو
يقول :

- لقد حزنا طويلاً لغيبى ، ولا ينبغي أن يحزنا مرة أخرى .

تراجع (حسن) بدهشة حادة ، وهو يقول :

- يحزنا؟! وهل يمكن أن تحزنهما عودتك؟!!

هزاً (عزت) رأسه ، وجفناه يلتقيان في تهالك ، وهو
يجيب :

- بل سيمزقهما اختفائي مرة أخرى يا صديقى .

سرت قشعريرة باردة مؤلمة في جسد (حسن) ، وهو
يهتف :

- اختفاؤك مرة أخرى؟! ماذا تعنى بالله عليك؟!!

مما يعجزنا حتى عن إيجاد الرابطة بينهما .. كل ما نعلمه هو أن الشق ما زال يواصل اتساعه ، وما زال الكل يرددون أمر ذلك النداء الغامض ، الذى تحدث عنه المهندس ، الذى ابتلعه الشقّ و ...

قاطعته (حسن) ، وجسده ينتفض انفعالاً :

- أى نداء ؟!

روى له المدير تفاصيل ما أورده الرائد (يحيى) فى تقريره ، فاتسعت عينا (حسن) عن آخرهما ، وهو يهتف :

- رباه ! هذه هى الرابطة بين الحدثين إذن يا سيادة المدير ..

لم يكن قد روى لمديره ، ما رددته (عزت) ، قبل أن يفرق فى سباته ، فراح يشرح ما حدث بأدق التفاصيل ، وشاركه عندئذ مديره فى انفعاله ، وهو يقول :

- النداء هو الرابطة بين الحدثين إذن .. لقد كان سيادة الرئيس على حق .. الحدثان وقعا معاً ، أو أن أحدهما كان السبب فى حدوث الآخر ، إما أن الشقّ قد جلب (عزت) إلى عالمنا ، أو أن اختراقه لحاجز الزمن ، هو الذى صنع ذلك الاضطراب ، و ...

٦- ماذا ؟!

« مستحيل !! » .

تسلّلت الكلمة مع كل انفعالاتها ، من بين شفتى (حسن) ، وهو يطالع ذلك الفيلم ، الذى تم التقاطه للشق الضخم ، وغمغم :

- رباه ! ماذا يحدث بالضبط ؟! (عزت) عند الظهر ، ثم هذا الشيء الرهيب ؟! ماذا ينتظرنا ؟!

أشار إليه المدير ، قائلاً :

- الأمران مازالا طى الكتمان والسرية التامة يا (حسن) ، والسيد الرئيس اقترح بحث احتمال ارتباطهما ببعضهما ، على نحو ما .. وهو احتمال منطقي ومعقول ، لو طبقنا قاعدتنا الذهبية ، فى عدم الإيمان بتوافق المصادفات . وصمت لحظة ، قبل أن يتابع فى توتر :

- المشكلة أننا نفتقر تماماً إلى المعلومات فى الحالتين ،

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه في شدة وتوتر ، فسأله
(حسن) في حذر شديد القلق :

ماذا هناك !؟

تطلع إليه المدير لحظة في صمت ، قبل أن يجيب في حزم :
- لو أن هذا الاحتمال صحيح ، فسيعنى هذا أنه سيتعين
علينا القيام بإجراء يمليه علينا ضميرنا وعلنا .

تسلل الخوف إلى قلب (حسن) ، وهو يسأل :

- وما هو !؟

شد المدير قامته ، وهو يجيب :

- التخلّص من مسبب الكارثة .

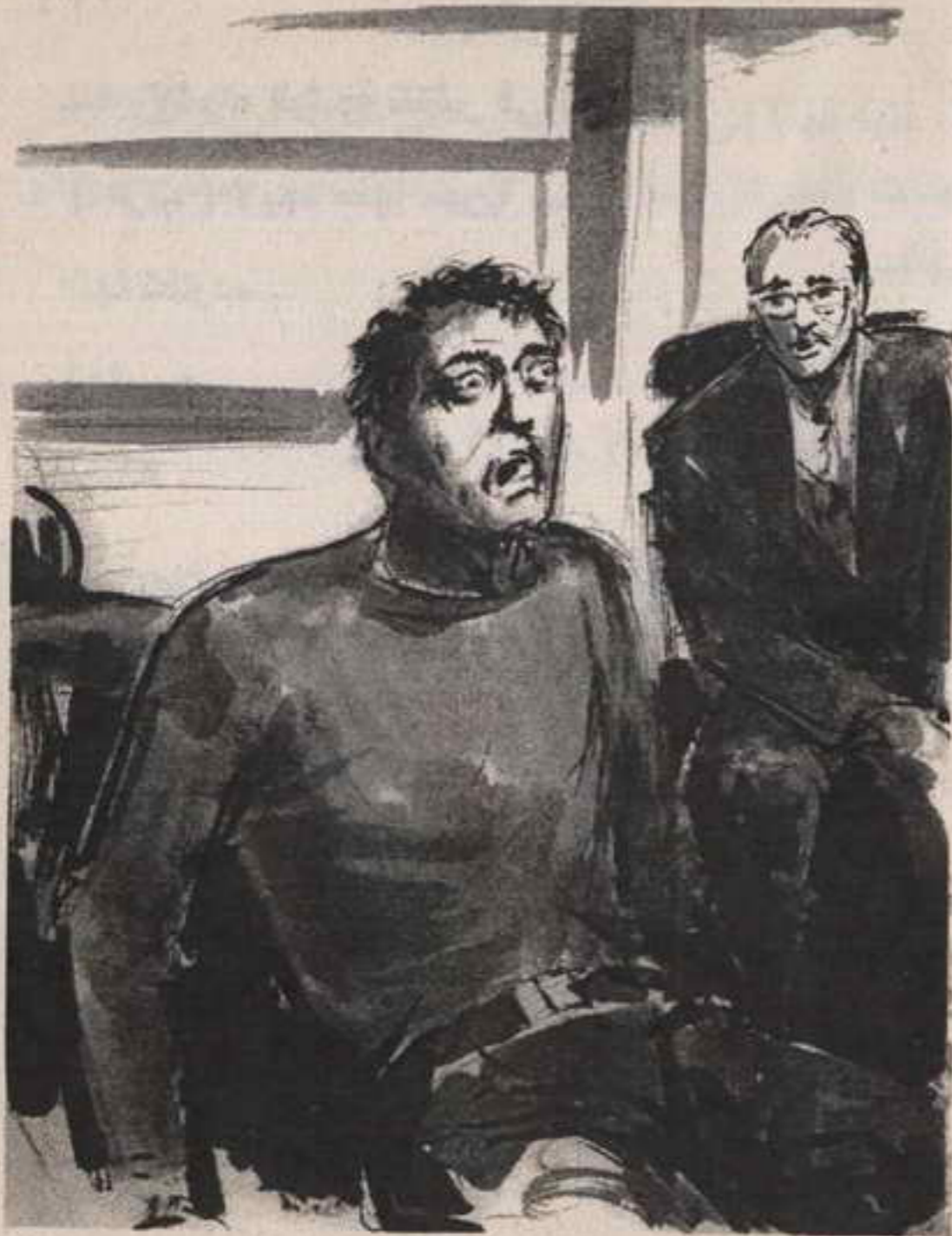
اتسعت عينا (حسن) في ارتياح ، قبل حتى أن يكمل المدير :

- من (عزت شاهين) .

وهوى قلب (حسن) بين قدميه ..

كالصخر ..

★ ★ ★



قأطعه (حسن) وجسده ينتفض انفعالاً :

- أى نداء !؟ ..

تلك الأشياء البشعة تنتشر في كل مكان ..

(عزت) لا يجد منها مهربيًا ..

إنها تطارده ..

تحاصره ..

تخنقه ..

كل شيء من حوله اصطبغ بذلك اللون البرتقالي ..

وكان من الضروري أن يهرب ..

أن يفرّ من ذلك المصير البشع ..

ولكن تلك الأشياء انقضت عليه من كل صوب ..

وها هي ذي تقيد حركته ، وتحبس أنفاسه في صدره ،

فيختنق ..

ويختنق ..

ويختنق ..

و ...

هبّ من رقاده في عنف ، وهو يلهث بشدة ، هاتفاً :

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ..

انتبه فجأة إلى شخص يجلس على مقربة من فراشه ، في صمت وجمود ، فسرت في جسده قشعريرة سريعة وهو يهتف :

- من أنت !؟

أتاه صوت صديقه (حسن) ، يقول :

- إنه أنا .

وامتدت يده تضغط زر الإضاءة ، وهو يضيف بابتسامة باهتة :

- هل نمت جيدًا !؟

اعتدل (عزت) جالسًا على طرف فراشه ، وهو يغمغم :

- أظنني نمت لساعة أو يزيد .

أجابته (حسن) :

- ثلاث ساعات وست عشرة دقيقة بالضبط .

تمتم (عزت) :

- أظننى كنت بحاجة إلى هذا .

غمغم (حسن) بدوره :

- بالتأكيد .

ران عليهما الصمت ، لما يقرب من دقيقة كاملة ، وكلاهما يتطلع إلى الآخر ، قبل أن يتساعل (عزت) بغتة :

- ما الأمر الثانى ؟!

تطلع إليه (حسن) فى دهشة ، فتابع :

- قلت لى إنه مازال هناك أمران غامضان ، أحدهما تلك الفجوة التى سجلها الصندوق الأسود ، فما الأمر الثانى ؟!

قلب (حسن) شفتيه لحظة ، ثم لم يلبث أن مال نحوه ، متسائلاً :

- أين ذهبت ذخيرة الطائرة ؟!

التقى حاجبا (عزت) ، وهو يقول :

- المفترض أن يتبقى صاروخ واحد ، ومائة رصاصة على الأقل .

هزاً (حسن) رأسه ، قائلاً :

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠) ٢٣٥

- لم يكن بها صاروخ واحد ، أو رصاصة واحدة .

ازداد التقاء حاجبى (عزت) وهو يغمغم :

- يا إلهى !

ثم نهض من مكانه ، واتجه نحو النافذة ، التى أضيفت إليها شبكة من الصلب ، وتطلع عبرها متسائلاً :

- أمازلنا فى مطار أوماظة ؟!

أجابته (حسن) فى اقتضاب :

- بلى .

تنهَّد (عزت) ، ولاذ بالصمت بضع لحظات أخرى ، قبل أن يقول :

هل تعلم ما الذى يعنيه اختفاء الذخيرة ؟!

سأله (حسن) فى اهتمام :

- يهمنى أن أعلم .

استدار إليه (عزت) ، مجيباً بصوت مرتجف :

- يعنى أنهم يدرسون أسلحتنا .

حدق (حسن) فى وجهه بدهشة عارمة ، قبل أن ينهض من مقعده بحركة حادة ، ويتجه نحوه ، متسائلاً فى عصبية :

- من هم يا (عزت)؟! من هؤلاء الذين تتحدث عنهم طوال الوقت؟!!

تطلع إليه (عزت) فى تردد وتوتر ، وبدا لحظة أنه سيفرغ كل ما بجعبته ، إلا أنه لم يلبث أن هز رأسه فى قوة ، قائلاً :

- لا .. لن يمكنك أن تستوعب هذا .

قال (حسن) فى توتر :

- مادمت تستطيع استيعابه ، فماذا يمنعنى من هذا؟!!

قلب (عزت) كفيه ، قائلاً :

- لست أدرى .. لست أدرى حتى كيف أمكننى أنا استيعابه؟!!

ربما لأننى رأيت ما لم تره أنت ، ومررت بما لم تمر به .

أمسك (حسن) كتفيه ، وهو يقول بتوتر زائد :

- صف لى ما رأيته .

هتف (عزت) فى مرارة :

- ليتنى أستطيع .

ثم أخفى وجهه بكفيه ، مستطرداً بلهجة أشبه بالبكاء :

- إننى عاجز حتى عن إيجاد الكلمات المناسبة .. لست أدرى كيف يمكننى أن أصف ما شاهدته .. لست أدرى .

حدق (حسن) فى وجهه ، قائلاً :

- ألم تقل : إنك قد شاهدت ما يشبه المخ البشرى؟!!

هتف (عزت) :

- فى البداية فحسب .

سأله (حسن) فى عنف ، وكأنما يستحثه على الكلام :

- ثم ماذا؟!!

كانت عينا (عزت) محمرتين بشدة ، عندما رفعهما إليه ، وكاتبنا تحملان مزيجاً من الألم ، والحزن ، والخوف ، والرهبة ، والذعر ، انتقل كله إلى لسانه ، عندما قال ، بلهجة أقرب إلى الضراعة :

- أرجوك يا (حسن) .. أرجوك .. لا توقظ ذلك الوحش

الرابط فى أعماق مخى .. أرجوك .

تراجع (حسن) ، قائلاً في حدة :

- ولكن من الضروري أن أعرف .. إنه واجبي .

عض شفتيه في ألم ومرارة ، وهو يحاول تنظيم أفكاره ،
وإزاحة حزن الدنيا كله عن كاهله ، قبل أن يهتف :

- إنك لا تدرك مدى أهمية أن نعرف ما لديك .. لا تدرك
أننا نواجه خطراً رهيباً .. خطراً بمثابة ..

قاطعته (عزت) في حزن رهيب :

- شق في أرض (مصر) ، يتسع في سرعة ، حتى
يكاد يلتهمها عن آخرها .

استدار إليه (حسن) بحركة أشبه بالإعصار ، وهو
يهتف ذاهلاً :

- كيف عرفت !؟

هزاً (عزت) رأسه في انهيار ، وهو يغمغم :

- صدقتي .. أنا أتمنى معرفة جواب السؤال نفسه .

ثم رفع عينيه الدامعتين إلى (حسن) مستطرداً :

- أريد أن أعرف كيف عرفت !؟ كيف !؟ هل زرعوا كل
هذا في عقلي ، أم ...

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وبدا
وكأنه يحدق في كيان مبهم خفي ، قبل أن يصرخ :

- يا إلهي ! إنهم يتحركون أسرع مما ينبغي .. ذلك
الشق سيلتهم كل شيء في غضون ساعات قليلة .

واستدار بجسده كله ، يشير إلى النافذة مستطرداً :

- قبيل الفجر .

وانتفض جسد (حسن) كله في عنف :

وحدق بدوره في النافذة ، وعقله يكرّر في أعماقه تلك
الكلمات بلا انقطاع ..

النهاية آتية لا ريب ..

قبل الفجر .

* * *

- لا توجد أية حمم بالداخل ، على الرغم من كل الوهج البرتقالي الذي تراه ، والأبخنة الحمراء المتصاعدة ، بل إننا لا نجد حتى سبباً لوجودهما ، فطبقاً لما أجريناه من فحوص ، وباستخدام أحدث ما توفر لنا من أجهزة ، يفترض أن هذا الشق مدخل إلى فراغ ضخم للغاية ، وعميق بلا حدود .

هتف الضابط مستنكراً :

- فراغ؟! ويفترض هذا؟! ماذا دهاكم يا رجال العلم؟!
ألا ينبغي أن تكون مصطلحاتكم وعبارتكم دقيقة واضحة
دوماً؟!

أجابه الدكتور (جمال) :

- بلى ، ولكن هذا عندما يتعلّق الأمر بما يمكننا فهمه
أو استيعابه ، ولكننا أمام ظاهرة مذهلة ، لم يمض على
حدوثها بضع ساعات ، وتتفاقم بسرعة مخيفة ، لا تمنحنا
حتى فرصة دراستها واستيعاب معطياتها الجديدة .

هتف الضابط :

- ولكن لا بد من إيقاف ما يحدث بأية وسيلة .

٧- الأشياء ..

حلّ الدكتور (جمال) رباط عنقه ، فى توتر شديد ،
وهو يطالع تقارير الفحص الأخيرة ، ومسح عرقاً غزيراً
عن جبهته ووجهه ، وهو يقول :

- النشاط يتزايد على نحو مخيف .

غمغم الضابط المسئول عن العملية ، وهو يتطلع إلى
الشق الرهيب ، فى قلق بالغ :

- والشق يزداد اتساعاً أيضاً .

زفر الدكتور (جمال) مغمغماً :

- بأسرع مما كنا نتوقع بكثير .

التفت إليه الضابط ، وسأله فى توتر :

- ألم يمكنكم جمع معلومات كافية عن الموقف؟! ألم
تتوصلوا بعد لمعرفة ماذا يحدث داخله؟! أحمم هى تلك
التي تسطع هكذا أم ماذا؟!

هزّ الدكتور (جمال) رأسه ، فى حيرة عصبية ، وهو

يجيب :

قال الدكتور (جمال) في حدة :

- أديك ما تنصحنا به !؟

صاح الضابط :

- أنتم العلماء .

قلب الدكتور (جمال) كفيه ، هاتفاً في يأس ومرارة :

- ولقد فعلنا كل ما بوسعنا ، وعجزنا عن إيجاد حل .

بلغت عصبية الضابط مداها ، وهو يهتف :

- ماذا تعنى !؟ هلى سنقف جميعاً صامتين ، حتى يبتلعنا هذا الشيء الجهمنى بلا رحمة .

صمت الدكتور (جمال) لحظة ، وهو يطيل النظر فى الشق ، قبل أن يهز رأسه فى بطء ، مجيباً :

- هناك حل ما حتماً .. حل يكمن فى مكان ما ، أو ...

توقف بضع لحظات ، قبل أن يضيف ، بصوت حمل كل توتر الدنيا :

- أو فى عقل ما .

ربما لم يكن يقصد هذا المعنى حرفياً ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

ولكن عبارته كانت صادقة ودقيقة ..

إلى أقصى حد ..

لخمس دقائق كاملة ، لم ينبس (عزت) ببنت شفة ، وهو يتطلع فى حزن ثقيل عجيب ، إلى طائرته الرابضة على أرض مطار (ألماظة) ..



وفي أعماقه ، كان هناك بركان ثائر ، يفيض بحمم من
ذكريات بغيضة ، ومرارة رهيبة ، وخوف مبهم عجيب ..

تجربته ، التي استغرقت في عالمه عشرين عامًا كاملة ،
والتي سجلها الصندوق الأسود لطائرته كنصف ساعة
كاملة ، كانت بالنسبة إليه هو مجرد لحظات ..

فكيف تركت في كياته كل هذه الذكريات والمعلومات
والمخاوف إذن !؟

كيف !؟

كيف !؟

إنه يعرف كل ما يحدث الآن في وطنه ..

في عالمه ..

في كوكبه ..

يعرف كل ما يحدث وكأنه يراه ..

أو رآه ..

بل ويعرف حتى ما سيحدث ، خلال الساعات القليلة

القادمة ..

يعرف ذلك المصير البشع ، الذي أعدته تلك الأشياء
للأرض ..

المصير المخيف الرهيب ، الذي سيبتلع عالمًا بأكمله ..

إنه شيء لم يعرفه ، أو حتى يتخيله ، في عمره كله ..

شيء يعجز حتى عن وصفه ..

فتلك الأشياء ليست بشرًا ..

أو أية مخلوقات عادية ..

إنها أشياء رهيبة ..

رهيبة ..

رهيبة ..

والمصير القادم أيضًا رهيب ..

وإلى أقصى حد ..

وبكل مرارة الدنيا ، عض شفتيه ، حتى كاد يدميها ..

وفي أعماقه ترددت صرخة بائسة يائسة ..

لماذا !؟

لماذا عاد ، فى هذا التوقيت بالذات ؟!

لماذا كُتِبَ له أن يخوض هذه التجربة الرهيبة ؟!

لماذا عاد ليشهد تلك النهاية البشعة لعالمه ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

وفجأة ، قفز إلى ذهنه خاطر مخيف ..

مخيف إلى أقصى حد ..

خاطر جعل وجهه يمتقع بشدة ، وعينيه تبلغان أقصى اتساعهما ، فى ارتياح بلا حدود ، جعل (حسن) يهتف :

- ماذا أصابك ؟!

حدق (عزت) فى وجهه ، وكأنما ينتبه إلى وجوده لأول مرة ، وهو يردد فى رعب عجيب :

- يا إلهى ! يا إلهى !

أمسك (حسن) كتفيه فى قوة ، وهو يكرر :

- ماذا أصابك ؟!

اتسعت عينا (عزت) مرة أخرى فى ارتياح ، وهو يقول :

- إنه أنا .

سأله (حسن) فى قلق :

- أنت ماذا ؟!

خفض (عزت) عينيه ، وهو يجيب بصوت أقرب إلى البكاء :

- أنا المسئول عن كل هذا .

جاء دور (حسن) ، ليبلغ اتساع عينيه أقصاه ، وهو يصرخ :

- أنت ؟! ماذا تعنى ؟!

هز (عزت) رأسه فى قوة ، هاتفا بكل مرارة :

- لا يمكن أن يكون الأمر مجرد مصادفة .. لا يمكن أن ترتبط عودتى بحدوث هذا ، إلا لو كانت هناك رابطة قوية بين الأمرين .

قال (حسن) فى حذر :

- هذه نظريتنا أيضا .

اتقلبت الأدوار بينهما ، وأمسك (عزت) كتفى (حسن)
هذه المرة ، وهو يهتف فى انفعال :

- لو أعدت دراسة الأمر ، فستجد أن عودتى ، واختراقى
لكل قواتين الزمن والفيزياء وطبيعة الكون ، هى التى حفزت
تلك الأشياء على بدء لعبة الإبادة هذه .

ردد (حسن) ، فى صوت يحمل رنة جزع :

- الإبادة؟!!

هتف (عزت) :

- نعم .. هذا ما يسعون إليه .. هذا ما جاعوا من أجله ..
الإبادة الشاملة .. إبادة الجنس البشرى من الوجود .

قال (حسن) ، وقد احتبس صوته فى حلقه ، من شدة
الانفعال :

- ولكن لماذا؟!!

أجابه (عزت) بانفعال أكثر :

- لأن هذا هو الشيء الوحيد الذى يجيدونه .. إنهم يجوبون

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠) ٢٤٩

الكون كله ، منذ ملايين السنين ، لإبادة كل حضارة يمرون
بها .. إنهم ليسوا مخلوقات عادية يا صديقى .. إنهم الشر ..
الشر نفسه مجسماً .

ردد (حسن) خلفه ، فى انبهار مذعور :

- الشر؟!!

ثم تراجع بحركة حادة ، هاتفاً :

- أى قول هذا يا (عزت)؟! إنها ليست واحدة من
مسرحيات (شكسبير)^(*) ، المفعمة بالرموز والأساطير ..
ليست حلمًا آخر ، من أحلام ليالى الصيف .. إنه عالم
الواقع يا رجل .. العالم الذى لا يوجد فيه تجسيد صاف ،
لأية صفة فى الوجود .

(*) ويليام شكسبير (١٥٦٤ - ١٦١٦ م) : أعظم الشعراء وكتاب

المسرح الإنجليز ، وله الفضل فى أن يحتل الفن المسرحى مكانته المرموقة ..
لم يتم تحديد هويته بالضبط ، ولكنه أنتج خلال حياته عددًا من المسرحيات ،
التي ما زالت تحظى بشهرة لا محدودة ، ويتكرر إنتاجها مسرحيًا وسينمائيًا ، كل
عقد من الزمن على الأقل ، ومن أشهر مسرحياته (هاملت) و (عطيل)
و (ملكبث) ، و (حلم ليلة صيف) ..

زفر (عزت) ، على نحو خيّل لـ (حسن) معه ، أن النيران قد انطلقت من حلقه كالتنين ، قبل أن يقول :

- اطرح كل الفلسفات جائبًا ، وصدقني .. هؤلاء هم الشر الخالص المجسّم .

اتعقد حاجبا (حسن) في شدة ، وتراجع بضع خطوات ، وكأنما يلقي نظرة شاملة كاملة على صديق عمره ، قبل أن يعتدل في وقفته ، ويشدّ قامته ، قائلاً في حزم :

- ربما .

تطلّع إليه (عزت) ، في صمت واستسلام ، ولكنه استدرك بكل صرامة :

- ربما كان ما تقوله صحيحًا .. ربما كانت عودتك سببًا في تنشيط تلك الأشياء .. ربما .. إنه مجرد افتراض ، يفسّر ارتباط الحدثين ببعضهما ، ولكن هناك افتراضًا عكسيًا أيضًا ، ألا وهو أن استعادتها لنشاطها ، هو الذي حرّرك من السجن الزماني ، الذي قضيت فيه نصف ساعة مجهولة ، وأعادك إلينا .

خفق قلب (عزت) ، مع هذا الافتراض الجديد ، وهتف :

- هل تعتقد هذا !؟

أجابه (حسن) في حزم :

- كل شيء مجرد افتراض .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف :

- فيما عدا أنك هنا الآن .

زفر (عزت) مرة أخرى ، وعاد يخفض عينيه ، متممًا :

- السؤال هو لماذا !؟ لماذا أنا هنا !؟

تطلّع إليه (حسن) لحظة في صمت مشفق ، ثم لم يلبث أن اتجه نحوه ، وربّت على كتفه ، مغمغمًا :

- رئيسي يؤمن بأنك هنا لسبب ما .. سبب لا يعلمه إلا الله (سبحانه وتعالى) .

ارتجفت شفتا (عزت) في تأثر ، وعاد يرفع عينيه إلى (حسن) ، متسائلًا في حزن عميق :

- سبب مثل ماذا !؟

حاول (حسن) أن يبتسم ، وهو يقول :

- من يدري !؟

هزاً (عزت) رأسه ، مغمغماً :

- نعم .. من يدري ؟

وتنهَّد في عمق ، قبل أن يضيف :

- ولكن لن يمكنك أن تتصوَّر كم يخيفني أن يتردَّد ذلك النداء مرة أخرى .. كم أخشى قدومه التالي ، وذلك التمزُّق الذي أشعر به ، في كل ذرة من كياني .

ثم شهق على نحو مباغت ، وهتف :

- إنهم لا يريدون أن أبقى على قيد الحياة .. إنهم يسعون لتدميرى بأى ثمن .

انعقد حاجبا (حسن) ، وهو يقول :

- هنا ينبغي أن نسأل .. لماذا !؟

أطلت دهشة حائرة متسائلة من عيني (عزت) ، فتابع (حسن) في حزم شديد التركيز :

- أصدقك القول ، أن أحد أسباب استمرار احتجازك هنا ، هو احتمال جال بخاطرنا ، أن يكون سبب وجودك ، وتوافق عودتك مع ظهور الشق ، الذي تصنعه تلك الأشياء ، هو أنك عين لهم على الأرض ، ولكن قولك بأنهم يسعون للقضاء عليك فجرَّ احتمالاً آخر ، وسؤالاً آخر .

وتطلَّع إلى عيني (عزت) مباشرة ، وهو يكمل بمنتهى الصرامة :

- ربما كنت تعرف وسيلة القضاء عليهم .

هوت العبارة على (عزت) كالصاعقة ، فتراجع بحركة حادة ، هاتفاً :

- أنا !؟

قال (حسن) في سرعة :

- نعم .. أنت .. أنت المخلوق الحي الوحيد في عالمنا ، الذي اخترق كياناتهم يوماً ، وخرج منه حياً .. ربما لأن الطائرة ، التي كنت داخلها ، هي التي حمت جسدك منهم .. ليس هذا فحسب ، ولكنها منحتك فرصة أن ترى ... وتدرِّك .. وتفهم ، وتعرف مدى قوتهم وخطورتهم ..

ثم مال نحوه ، مضيفاً بلهجة حازمة للغاية :

- وتعرف نقاط ضعفهم أيضاً .

اتسعت عينا (عزت) ، وهو يتراجع ويتراجع ، وتفجّر في ذاكرته بركان من الرعوس والأحداث والذكريات ..
نعم .. لقد استغرق طويلاً ، داخل ذلك الكيان البرتقالي الرهيب ..

استغرق أكثر مما استوعبته ذاكرته في البداية ..

أكثر بكثير ..

استغرق ما كان بكفيه ليرى ..

ويدرك ..

ويفهم ..

وكما لو أن (حسن) قد ضغط زراً خفياً ، في أعماق أعماق تلافيف مخه ، تحرّرت كل ذكرياته دفعة واحدة ، وانهمرت في مخه كالسيل ..

ومع تدفق الذكريات ، راح جسده ينتفض في عنف ..

وينتفض ..

وينتفض ..

ثم اتسعت عيناه ، على نحو لم يحدث في عمره كله قط ..
وانطلقت من كياته ، وعبر حلقه ، شهقة قوية ..
نعم .. الآن يتذكر كل شيء ..

ويعرف كل شيء ..

يعرف أن الأمر أكثر خطورة وبشاعة مما كان يتصور ..
أكثر ألف مرة .

- بالغوص فى ماذا؟! ألا تفهم ما يحدث هنا يا رجل؟!
ذلك الشق أشبه بحفرة من حفر النار ، تلتهم ، وبلا رحمة ،
كل من يقترب منها ، فما بالك بمن يغوص فيها .

قال الضابط ، فى صرامة شديدة :

- لا بد أن نعرف .

هتف الدكتور (جمال) :

- ألا توجد وسيلة لذلك ، سوى التضحية بفريق من
خيرة شبابنا؟!!

صاح الضابط :

- إنهم جنود ، ومهتهم حماية هذا الوطن ، والدفاع عنه ،
مهما كان الثمن .. هل تفهم أيها الجيولوجى؟! مهما كان
الثمن .

تراجع الدكتور (جمال) ، أمام هذه الثورة العارمة ،
وازدرج لعابه فى صعوبة ، وهو يغمغم :

- ولكن ما سيفعلونه هو نوع من الانتحار .

٨ - القرار ..

ارتجّت الأرض مرة أخرى بعنف ، فى تلك المنطقة
الجبليّة ، فى جنوب (مصر) ، وانهارت مع الارتجاج
مجموعة صخور جبليّة أخرى ، وابتلعها الشق المتسع
دون صوت ، وكأنما ذابت فى أعماقه ، أو تفتتت إلى قطع
صغيرة ، مع دخانه الأحمر الرهيب ، الذى يتألق بذلك
الضوء البرتقالى ، المنبعث من أعماق الشق ، ليصنع
صورة أشبه بالجحيم ، جعلت الضابط المسنول يهتف :

- سيرسلون فريقًا أكثر تطورًا .

زفر الدكتور (جمال) ، مغمغمًا :

- لن يكون هناك وقت لهذا .

تجاهل الضابط العبارة ، وهو يواصل :

- فريق من رجال الصاعقة سيجازف بالغوص فى الشق ،
لجمع كل المعلومات الممكنة عن أعماقه ، و ...

قاطعه الدكتور (جمال) هذه المرة ، هاتفًا فى ارتياح :

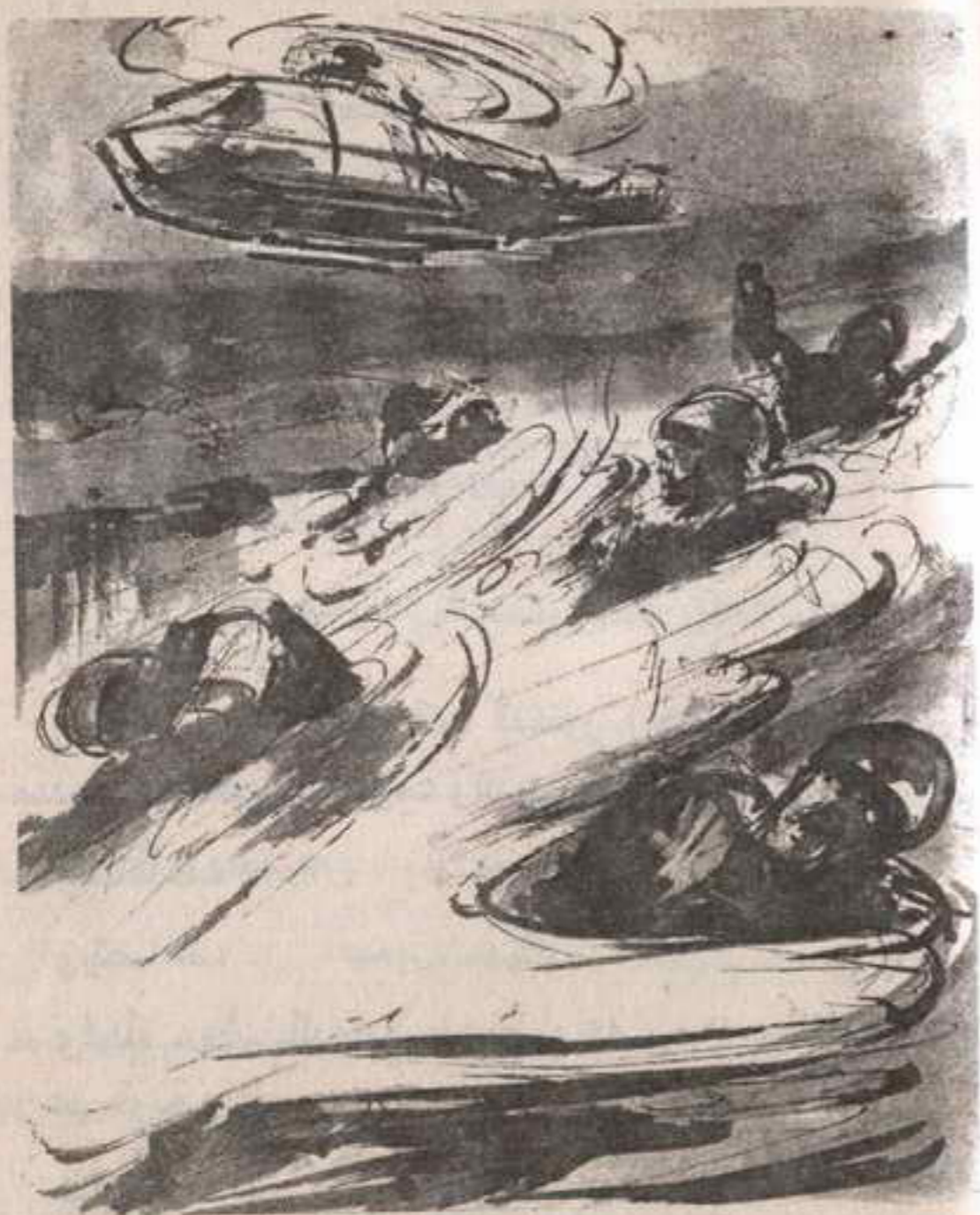
صمت الضابط بضع لحظات ، وارتجفت شفتاه ، وكأنما يحاول السيطرة على انفعالاته ، قبل أن يقول في حزم :
- وهم انتحاريون .

وازدرج لعابه ، قبل أن يضيف بحزم أكبر :
- وهذا واجبهم .

لم يكذ يتم كلمته ، حتى سمعا أزيز الهليكوبتر الحربية ، التي حجبها الظلام المحيط بالمنطقة ، والتي لم تلبث أن ظهرت فجأة ، وهي تعبر فوق رأسيهما ، ورعوس المحيطين بالمكان متجهة نحو الشق مباشرة ، والذي يبعد عن الجميع مائتي متر تقريباً ..

وبحركة ماهرة سريعة ، انخفضت الهليكوبتر ، وخففت من سرعتها على نحو ملحوظ ، ودون أن تتوقف ، راح رجال الصاعقة يثبون منها إلى الأرض ، بكامل عدتهم وأسلحتهم ، وانتشروا يحيطون بالشق في سرعة ، على نحو يوحى بأنهم يعرفون مهمتهم جيداً ، وتدرّبوا عليها طويلاً ..

وما إن اكتمل عددهم ، حتى ارتفعت الهليكوبتر مرة أخرى ، واستعادت سرعتها ، وراحت تدور حول المكان ، وكأنما يراقب من بداخلها الأحداث ..



وبحركة ماهرة سريعة ، انخفضت الهليكوبتر ، وخففت من سرعتها على نحو ملحوظ ، ودون أن تتوقف ، راح رجال الصاعقة يثبون منها إلى الأرض ، بكامل عدتهم وأسلحتهم وانتشروا يحيطون بالشق في سرعة ..

وحبس الدكتور (جمال) أنفاسه ، وهو يراقب ما يحدث
في أنبهار متوتر ..

وبدون كلمة واحدة ، وبإشارات سريعة حازمة أحاط
رجال الصاعقة بالشق ، ثم اتجهوا نحوه في حزم وصلابة ،
يوحيان بقلوب صلبة بأسلة ، لا تعرف للخوف سبيلاً ..

وبكل القوة ، راحوا يقتربون ..

ويقتربون ..

ويقتربون ..

ومع كل خطوة ، كان قلب الدكتور (جمال) ينتفض في
صدره ، وشعوره بالخوف والذعر يتضاعف ..

ويتضاعف ..

ويتضاعف ..

وفجأة ، وثب قلبه من بين ضلوعه ، وهو يطلق صرخة
رعب قوية ..

فبلا مقدمات ، وبحركة مباغتة رهيبية ، انقسم الدخان
الدموي إلى عشرات الأجسام ، الشبيهة بأنزع الأخطبوط ،
التف كل منها حول أحد رجال الصاعقة البواسل ، في
سرعة مذهلة ، وجذبه إلى الشق ..

إلى قلب الجحيم البرتقالي الرهيب ..

وانطلقت من حلوق الرجال صرخة دهشة وانزعاج ..

صرخة استغرقت ثواني معدودة ..

ثم تلاشت هناك ..

في أعماق الشق ..

ومع تلاشيها ، ارتجت الأرض كلها مرة أخرى ..

ثم انطلق الشق يتسع في سرعة رهيبية ..

ويتسع ..

ويتسع ..

وصرخ الدكتور (جمال) ، وهو يعدو بأقصى سرعته :

- سيلتهمنا .. سيلتهمنا جميعاً .

انطلق الجميع يعدون ، واتساع الشق يطاردهم كألف
ألف شيطان ، وبسرعة تتجاوز قوتهم مرتين على الأقل ..

ومن خلفه ، سمع الدكتور (جمال) صرخات الرجال ، الذين
راح الشق يلتهمهم بلا رحمة أو هوادة ، فزادت سرعة عدوه ،
حتى لقد خيل إليه أنه يعدو بأسرع من قدرات البشر بالفعل ..

ويبدو أن هذا كان صحيحًا ؛ لأن قلبه كان يخفق على نحو مخيف رهيب ..

وأخيرًا ، عجز جسده البشري عن الاحتمال والمواصلة . فسقط ..

هوى على وجهه ، وهو يصرخ :

- إنها النهاية .. إنها النهاية

ولكن الارتجاج توقف بغتة ، مع آخر حروف صرخته ..

وهذا كل شيء ..

ولثوان ، لم يصدق الدكتور (جمال) أنه قد نجا ، فظل منكمشًا على نفسه ، يغلق عينيه في قوة ، ويرتجف كطير مبتل ، في يوم بارد ..

وأخيرًا ، فتح عينيه وحدث فيما أمامه في ذهول مذعور ، عندما سمع صوت الضابط المسئول ، يقول في خفوت ، يحمل كل انفعالات الدنيا :

- لم يتبق سوانا .

وأمام عيني الدكتور (جمال) ، وعلى مسافة عشرين

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠) ٢٦٣

مترًا فحسب ، كانت حافة الشق تتألق ، بذلك الوهج البرتقالي وتنبعث من خلفها الأدخنة الحمراء القانية .. أما الشق نفسه ، فكان قد اتسع ، حتى التهم المكان كله .. بكل ما فيه ..

ومن فيه ..

وكان هذا يعنى أن الدكتور (جمال) على حق ..

لا توجد وسيلة وحيدة للنجاة ..

أية وسيلة ..

★ ★ ★

« أريد استعادة طائرتي .. » .

نطق (عزت) العبارة ، بكل ما تفجر في كيانه من انفعالات ، فحدث فيه (حسن) بدهشة ، مرددًا :

- طائرتك؟! ماذا تعنى!؟

لوح (عزت) بذراعيه انفعالاً ، وهو يقول :

- أعنى أنني أريد إنهاء الموقف كله .. أريد محو الساعات العشر الماضية ، وكأنها لم تكن .. سأقود طائرتي ، وأبتعد عن هنا .

هتف (حسن) مستنكراً :

- تقود ماذا؟! هل جننت يا رجل؟! هذا مستحيل تماماً .

أمسك (عزت) ذراعيه في قوة ، وهو يقول :

- بل هذا هو الأمل الوحيد يا (حسن) .. صدقتي .. الأمل الوحيد في أن ينجو عالمنا منهم .

حدق فيه (حسن) بدهشة مستنكرة ، فتابع (عزت) في انفعال :

- لقد كنت على حق .. أنا وحدي أعرف نقطة ضعفهم .. أنا وحدي يمكنني الوصول إليها ، وسحقهم تماماً .. أرجوك .. أريد طائرتي .

ظل (حسن) يحدق فيه لحظة ، ثم لم يلبث أن انتزع نفسه منه ، وتراجع بحركة حادة قائلاً :

- هذا غير ممكن .

وخفض عينيه لحظة ، وكأنما يخفي انفعالاً ما ، أو يحسم أمراً ما ، ثم عاد يرفعهما ، قائلاً :

- طائرتك تحت التحفظ ، وما زالت تخضع للفحص والاختبار ، ومن المستحيل أن ..

قاطعه (عزت) في انفعال :

- افعل شيئاً يا (حسن) .. أرجوك .. لاتضع الوقت .. لاتحطم عالمنا ؛ لأنك عاجز عن اتخاذ قرار كهذا .

ران عليهما صمت مطبق ، لما يقرب من دقيقة كاملة ، على الرغم من انفعالهما الجارف ، وكلاهما يتطلع إلى عيني الآخر ، وكأنما يحاول أن يستشف ما يدور في عقله ..

دقيقة عصفت فيها عشرات الأفكار والاحتمالات برأس (حسن) ..

صحيح أن ما يطلبه (عزت) عسير ..

ولكنه ليس مستحيلاً ..

فبحكم منصبه ، وموقعه ، والصلاحيات التي تم منحه إياها هذا الصباح ، كان باستطاعته أن يعيد (عزت) إلى طائرتة ..

وأن يسمح له بالإقلاع بها أيضاً ..

صحيح أن الكل سيعترض على هذا الإجراء ، وربما يصفونه بالجنون ، كما أن الطيران الليلي ليس سهلاً أو مقبولاً ، وخاصة بوساطة مقاتلة عتيقة الطراز كهذه ..

ولكن أحدًا - بحكم القانون - لن يملك منعه ..

ومن ناحيته ، كصديق قديم لـ (عزت) ، فهو يميل إلى منحه ما يريد ..

حتى ولو كان هذا ضربًا من الجنون ..

ولكن من موقعه ، كضابط مخابرات مسنول ، لم يكن من الممكن أن يسمح بهذا ، قبل أن يتيقن من صحة الأسباب ، وصدق وسلامة الدوافع ..

و (عزت) يضعه أمام خيار عسير للغاية ..

فالعالم كله يواجه خطر إبادة شاملة ، خلال ساعات قليلة ..

وربما كان ما سيفعله (عزت) هو بالفعل الأمل الوحيد في النجاة ..

ربما ..

ولكن هناك أمرًا آخر ، ينبغي أن يخشاه ..

ذلك النداء الغامض ، الذي تحدث عنه (عزت) أكثر

من مرة ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠) ٢٦٧

ماذا لو أن تلك الأشياء ، التي يجهل كينونتها تمامًا ، قد سيطرت على عقل (عزت) بالفعل !؟

وماذا لو أن ما سيفعله بطائرته ، سيكون بمثابة إشعال فتيل عملية الإبادة الشاملة ، وهو نفسه لا يدرك هذا !؟

احتمال بالغ الخطورة بالفعل ..

ولكن على (حسن) أن يتخذ القرار ..

وبمنتهى السرعة ..

وهذا ليس بالأمر اليسير ..

ليس كذلك أبدًا ..

وفي بضع يمول بالانفعالات ، سأل (حسن) :

- ماذا ستفعل بالطائرة !؟

أجابته (عزت) في سرعة وصرامة :

- سأذهب إليهم .. الطائرة ستحميني منهم ، كما فعلت من قبل .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف :

- وأقسم ألا أتوقف ، قبل أن أمحو شرورهم ، من الكون كله .

ازدرد (حسن) لعابه ، وهو يسأل ، بصوت أكثر خفوتاً :
- وماذا سيحدث لك !؟

تطلع (عزت) إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول مكرراً :
- أريد استعادة طائرتي يا (حسن) .. أرجوك .

ارتجفت شفقتا (حسن) ، وهو يغمغم :
- ليس بهذه البساطة .

اندفع (عزت) نحو النافذة ، وأشار إلى المكان خارجها ،
هاتفاً :

- هكذا !؟ ألقى نظرة إذن على عالمنا يا صديقي .. فربما
كانت هذه آخر مرة تراه فيها ، في حياتك كلها .

ثم عقد ساعديه أمام صدره ، مضيقاً في حزم عصبى :
- أعنى في حياة الأرض كلها .

ولم يجب (حسن) بحرف واحد ..

فالقرار بالنسبة إليه مازال عسيراً ..
عسيراً للغاية ..

* * *

النهاية بدأت بالفعل ..

هذا ما أدركه الدكتور (جمال) وهو يحدق مذعوراً في
ذلك الشق ، الذي راح يتسع في سرعة مخيفة ، ودون أن
يصحب هذا الاتساع أية ارتجاجات كالسابق .. لقد بدأت
المرحلة النهائية ..

ذلك الشق ، بما يكمن داخله ، بدأ بالفعل رحلته لالتهام
كل ما حوله ..

والله (ﷻ) وحده يعلم ، متى يتوقف هذا ..
متى !؟

وفي توتر بلا حدود ، هتف الضابط المسئول :
- رباه ! ألا يمكن إيقاف هذا أبداً !؟

كانا ينطلقان مبتعدين ، بآخر سيارة سليمة ، تبقت
في المكان ، وعلى الرغم من هذا ، فقد كانت حافة الشق
تقترب منهما أسرع ..

وأسرع ..

وأسرع ..

وفى يأس غلّفه زعر بلا حدود ، غمغم الدكتور (جمال) :
- لافائدة .. لافائدة ..

كان كيانه كله قد انهار بداخله ، مع يأسه من النجاة ،
والفرار من ذلك المصير البشع ، و ...

وفجأة ، ظهرت تلك المقاتلة فى السماء ..

مقاتلة قديمة ، من طراز الميج ، سوفيتية الصنع ، عبرت
السماء بهدير قوى ، ثم دارت حول المكان ..

وفى دهشة كبيرة ، هتف الضابط المسئول :

- مقاتلة؟! فى هذا الوقت من الليل .. ماذا يفعل هؤلاء
المجانين؟! هل يفكرون فى نسف تلك الفجوة ..

قبل حتى أن يتمّ كلمته ، كانت المقاتلة تنقض بأقصى
سرعتها ..

على منتصف الفجوة تمامًا ..

وصرخ الدكتور (جمال) :

- رباه ! إنهم مجانين بالفعل .

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠) ٢٧١

وبداخل المقاتلة ، انبعث للمرة العاشرة ، ذلك الهتاف
التحذيرى :

- من القاعدة العسكرية إلى الميج .. عد إلى قاعدتك
فورًا ، وإلا ..

قبل أن يكتمل الهتاف ، أغلق (عزت) جهاز الاتصال ،
وهو يقول فى صرامة :

- ماذا يمكنكم فعله ، أكثر من هذا!؟

قالها ، وهو ينطلق بمقاتلته نحو الفجوة ، التى غمرتها
سحابة رهيبية دموية ..

وبسرعته التى تتجاوز سرعة الصوت ، اخترق سحابة
الدم ..

وعبر الفجوة ..

كانت مساحة هائلة من الفراغ ، اصطبغت كلها بالوهج
البرتقالى الرهيب ..

ولكنه لم يتوقف ..

لقد اعتدل بالطائرة ، وانحرف إلى اليمين ، وواصل انطلاقه
عبر فراغ ضخم ، بدا وكأنه يحتل كل باطن الأرض تقريبًا ..

ولكنه كان يعرف طريقه جيدا ..

وينطلق نحوه مباشرة ..

أسرع من الصوت ..

ولاح ذلك الغشاء الأصفر السميك أمامه ..

وبكل قوته وسرعته ، اخترقه ..

وانخفضت سرعة طائرته بقليل ..

انخفضت لنتواءم مع معدلات الزمن ، داخل ذلك الفراغ

الجديد ..



وظهرت تلك الأشياء البشعة في كل مكان ..

وبدا المكان كله أشبه بقطعة من الجحيم ..

كل شيء لم يعد كما هو على الأرض ..

كل القواعد والموازن والأسس العلمية اختلت واختلفت ..

فها هو ذا ينطلق بطائرته ، بسرعة لا تزيد على مائة

كيلومتر في الساعة ، وكأنما يتم عرض المشهد بالتصوير

البطيء ..

إلا أنه لم يفقد تحكُّمه فيها لحظة واحدة ..

والأشياء البشعة تنقض عليه من كل صوب ..

وتطلق نداءها ..

ذلك النداء ، الذي عاد ينطلق من كل خلية من خلاياه ..

ويعتصر مخه بلا هوادة ..

ولكنه قاوم ..

وقاوم ..

وقاوم ..

كل جسده بدأ يرتجف فى شدة ، والعرق الغزير يغمر وجهه
وجسده ، وذلك النداء الرهيب يلتهم مخه بلا رحمة ..

ولكن الهدف بدأ من بعيد ..

ذلك الشيء الشبيه بالمخ البشرى ، والذي تضاعف حجمه
ألف مرة على الأقل ، عن ذلك الذى رآه ، وهو يخترق
ذلك الكيان البرتقالى القديم ..

وبلا تردد ، اتجه بالطائرة نحوه ..

وانقضت الأشياء البشعة بعنف أكثر ..

واشتعلت كل خلية من خلايا مخه بذلك النداء الرهيب ،
الذى يحثه على التوقف والتراجع ..

ويدفعه إلى الجنون ..

أو الموت ..

واقتربت مقاتلته من الهدف أكثر وأكثر ..

وتضاعفت قوة النداء ..

وتمزق مخه أكثر ..

ولكنه قاوم بكل إرادته ..

بإرادة من فولاذ ..

قاوم ، لأنه كان يلبي نداءً أكثر تأثيراً وقوة ..

نداء الوطن ..

والواجب ..

لذا فقد واصل طريقه ، وغمغم وهو ينقض على الهدف
مباشرة :

- لن تظفروا بعالمى أبداً أيها الأوغاد .

وعلى الرغم من آلامه وعذاباته ، شد قامته ، واكتست
ملامحه بحزم وحسم ، وهو يرتطم بالهدف ، و ...

وانتهى كل شيء فى لحظة واحدة .

* * *

زمجر الضابط المسنول ، قبل أن يقول :

لولا ملابس الأمر ، لما كان من المفترض أن تسمع حتى
عن هذا الأمر أيها الرائد .

زفر (يحيى) مغمغماً :

- ليت هذا ما حدث .. لا يمكنك أن تتصور كم ستترك فينا
هذا التجربة الرهيبة من ذكريات وانفعالات .. ألا ترى تأثيرها
على وجوه الكل .. أنت ، وأنا ، والدكتور (جمال) ، وفريقه
العلمي ، و ...

صمت لحظة ، ثم استدار يشير إلى صخرة عالية بعيدة ،
جلس فوقها رجل صامت ، يتطلع إلى شروق الشمس ،
وأردف :

- وحتى ذلك الغامض ، القادم من القاهرة .

في نفس اللحظة ، التي نطق فيها عبارته ، كان (حسن)
يجلس على تلك الصخرة ، محاولاً كتمان دموعه وانفعالاته
وهو يستعيد لحظاته الأخيرة ، مع صديق عمره ، الذي
فقدته مرتين ..

« لا تجازف بحياتك يا (عزت) .. أرجوك .. »

٩- الفجر ..

كل شيء عاد إلى سابق عهده ..

كل شيء ..

وعندما انبلج الفجر ، واصطبغ الشفق بألوانه الرائعة ،
لم يكن قد تبقى ، من ذلك الشق المخيف ، سوى أثر صغير
في باطن الجبل ..

أثر لم تعد تتصاعد منه أية أذخنة ، مما شجّع بعض فريق
الفحص على الالتفاف حوله ، والدكتور جمال يقول :

- سبحان الله (العلى القدير) .. يخلق بالفعل ما لانعم ..
ذلك الشيء كان في حجم قرية كاملة ، منذ بضع ساعات ،
ثم ها هو ذا يكاد يتلاشى الآن .. رباه ! لن تجدوا مثيلاً
لهذا ، في أية كتب جيولوجية أو علمية ، أو حتى تاريخية ..

هزّ الرائد (يحيى) رأسه ، قائلاً :

- من حسن حظنا جميعاً أن الأمر قد اندرج تحت بند
السرية المطلقة ، لأنه كان من المستحيل أن نخبر به أحداً ،
دون أن يتهمونا بالجنون المطبق .

« حياتي ثمن رخيص لما ستحققه مهمتي يا (حسن) .. »

« لا يمكنني أن أفقدك مرة أخرى .. »

« ولا يمكنك حمايتي أيضاً كالسابق .. صدقتي .. الموت هو آخر شيء يمكن أن يقلق أمثالنا .. لقد كنا نتوقعه وننتظره ، مع كل طلعة جوية .. » .

« كان هذا في أيام الحرب يا (عزت) .. » .

ارتسمت على شفتي (عزت) ابتسامة باهتة ، عندما نطق (حسن) عبارته الأخيرة ، وتطلع إليه ، قائلاً :

- هل نسيت حقيقة الموقف يا صديقي؟! ربما انتهت الحرب بالنسبة لكم ، منذ عشرين عاماً .. وربما تعيشون اليوم تحت مظلة سلام لم أتصور حدوثه قط ، ولا يمكنني حتى قبوله ، من الناحيتين ، المنطقية والنفسية ، ولكن بالنسبة لي الحرب بدأت منذ ما يزيد قليلاً على الساعات العشر .. فمنذ تلك الفترة - بالنسبة لي - خرجت لأقاتل العدو ، تلبية لنداء الوطن ، ومشاعري ما زالت على حالها .. إنني ما زلت ألبى النداء .

وتطلع إلى عينيه مباشرة ، مضيفاً بكل الحزم والحسم :

- نداء الواجب .

على الرغم منه ، فرّت دمعة من عيني (حسن) ، وهو يجلس على تلك الصخرة ، مستعيداً حديثهما الأخير ، وانحدرت على وجهه ، فارتفعت أصابعه تمسحها في حزن ومرارة ، وهو يتمتم :

- لقد كنت أشجعنا يا صديقي .. كنت أصدقنا ، وأروعنا ، وأكثرنا بطولة .. كلنا كنا نبذل حياتنا في سبيل الوطن ، أما أنت ، فدفعت حياتك في سبيل العالم كله .

كانت تلك الدمعة إيداناً بثغرة في مشاعره ، انحدرت معها كل دموعه على وجنتيه ، وهو يواصل :

- صدقتي .. لن أنساك أبداً .. بطولتك الفريدة لن يعلم بها أحد ، ولن تشير إليها كتب التاريخ ، ولكنني سأذكرك دوماً .. سأذكرك ، ليس لأننا صديقين فحسب ، ولكن لأن بيننا أخوة من نوع خاص .

ورفع سبأته ؛ ليلقي نظرة على الجرح الحديث ، في أعلاها ، وهو يضيف :

- أخوة دم .

وبلا مقاومة ، ترك دموعه الغزيرة تغرق وجهه ، وهو
 يتطلع إلى ذلك الذي لم يكن العالم ليشهده قط ، لولا أن
 لبي صديقه الراحل نداء الواجب ..

إلى الفجر ..

الفجر الجديد .

★ ★ ★

(تمت بحمد الله)